


# القواعد النافعة

## في أسماء الله وصفاته

بقلم

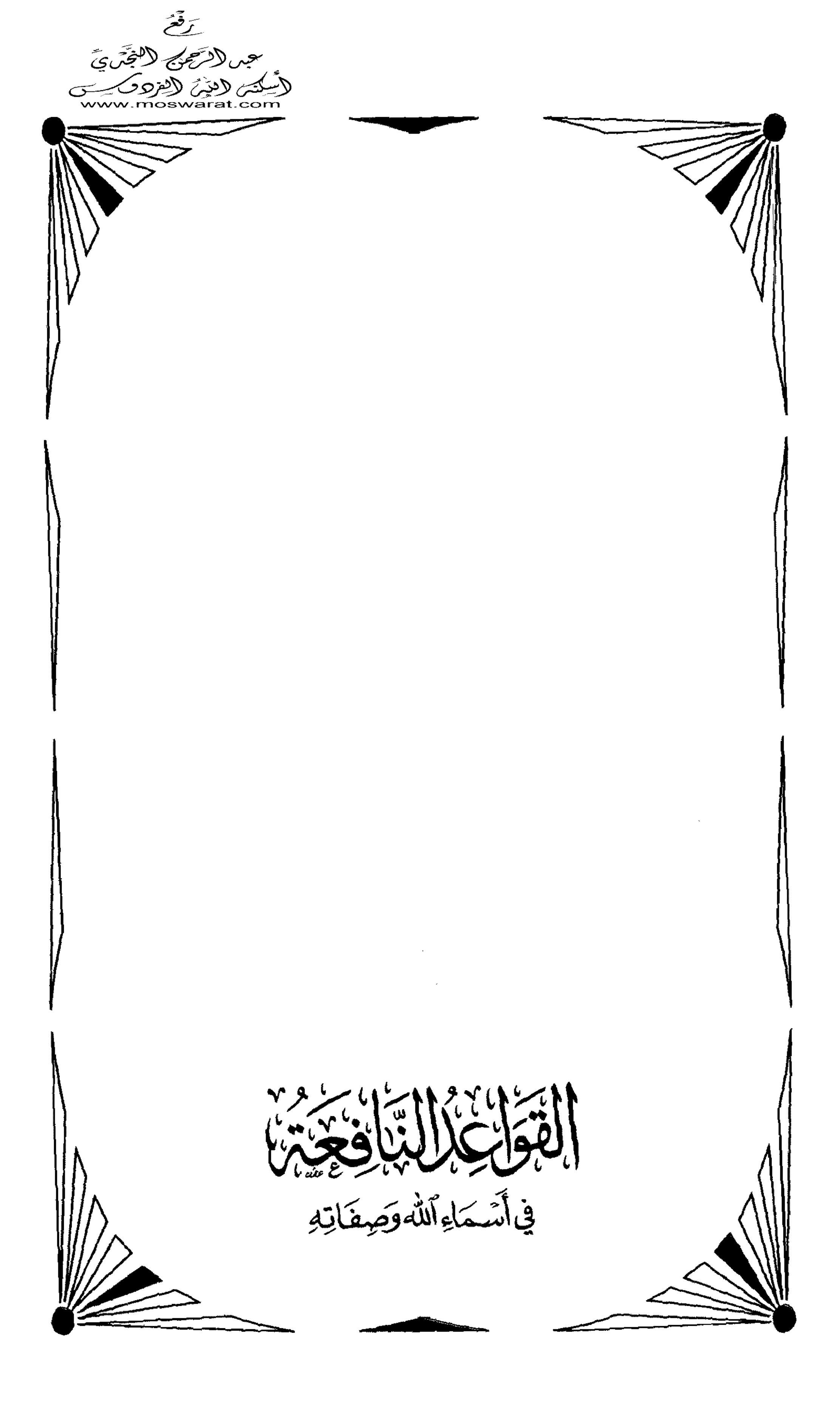
د. عثمان بن محمد الخميس





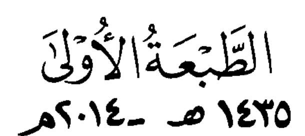



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



# القواعد النافعة

## في أسماء الله وصفاته




١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م



للتواصل

٩٩٤٨٨٦٠٨ (٩٦٥)

alabdolhady@hotmail.com







الكويت - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦، ف: ٢٢٦١٢٠٠٤، الخط الساخن: ٩٤٤٠٥٥٥٩

فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٦٠٥٢٨

ص.ب: ١٠٧٥، حولي، الرمز البريدي: ٣٢٠١١ الكويت



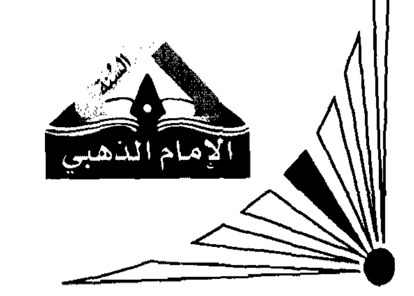

# القواعد النافعة

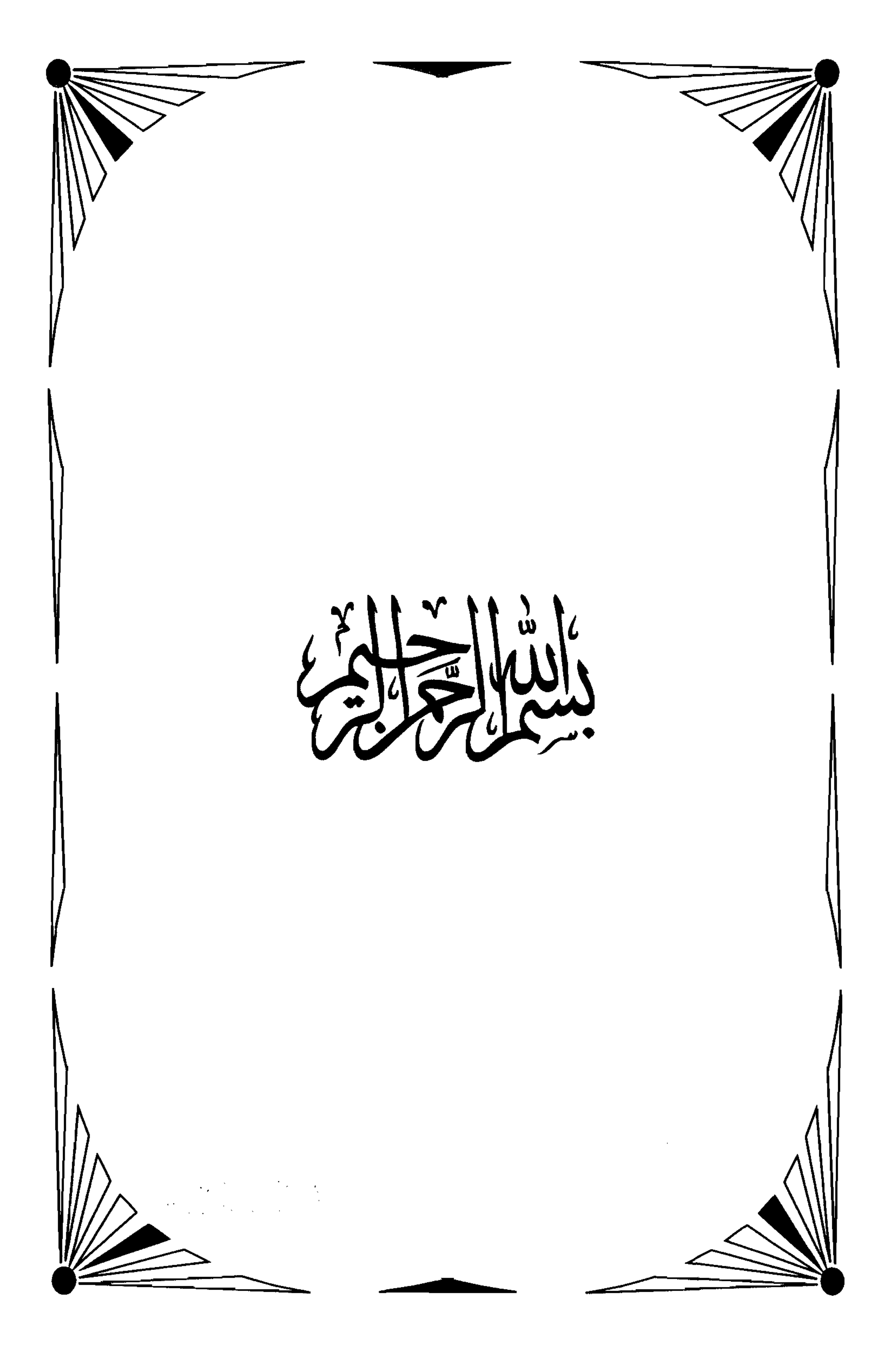
## في أسماء الله وصفاته

بقلم

د. عثمان بن محمد الخميس

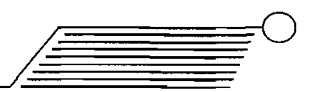



بسم الله الرحمن الرحيم







# مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ولي الصالحين، الحمد لله خالق الخلق أجمعين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وإمامنا وحبيبنا وقرة عيننا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحابته أجمعين.

**أما بعد:**

فإن أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلىٰ ربه ﷻ هي معرفة الله ﷻ، التوحيد الذي خلق الله الخلق لأجله، قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

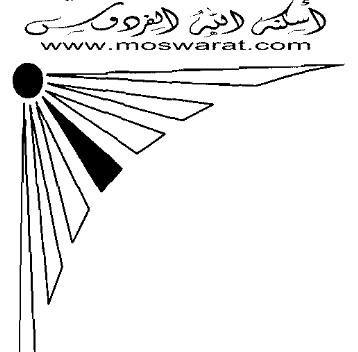
وهٰذه قواعد نافعة - إن شاء الله تعالىٰ - جمعتها من كتب أهل العلم، لعل الله تعالىٰ أن ينفع بها كاتبها وقارئها، وهي قواعد بلغت الثلاثين قاعدة، ويتبعها تطبيقات عملية علىٰ صفات الله تعالىٰ، مقرراً عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فيها، ثم أتبعته بمقالات المخالفين لهم، ومناقشتها والرد عليها بما يسر الله، وسيتقدم هٰذه القواعد تمهيد بين يديها.

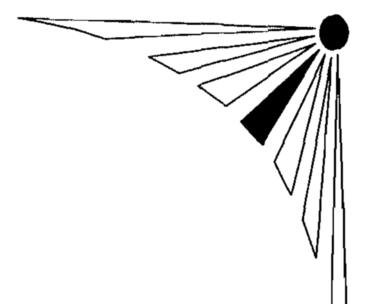
عثمان بن محمد الخميس

**الكويت ٢٨/ ربيع الأول/ ١٤٣٤هـ**







# التمهيد

وفيه:

١. تعريف التوحيد.
٢. تعريف العقيدة.
٣. تعريف الإسلام.
٤. تعريف الإيمان.
٥. الفرق بين الإسلام والإيمان.
٦. الغاية من خلق العباد.
٧. أقسام التوحيد.
٨. ضدان لتوحيد الأسماء والصفات.
٩. فضل التوحيد.
١٠. معنىٰ توحيد الأسماء والصفات.
١١. أهمية توحيد الأسماء والصفات.
١٢. ضوابط عامة في الاعتقاد.





# التمهيد

## ١. تعريف التوحيد:

**لغة**: هو مصدر من وحد الشيء إذا أفرده؛ أي: جعله واحداً.

**وأما شرعاً**: فهو إفراد الله تعالىٰ في وصفه وفعله وحقه مع نفي المثل والشريك والند.

## ٢. تعريف العقيدة:

**لغة**: هو مصدر اعتقد؛ أي: اتخذه عقيدة من العقد، وهو الشد والربط.

**شرعاً**: هي التصديق التام بما يسلم له القلب ويجزم به.

## ٣. تعريف الإسلام:

هو الاستسلام والانقياد لله تعالىٰ، ويتضمن الأعمال الظاهرة؛ كالصلاة والزكاة والحج والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل هٰذه أعمال ظاهرة.

## ٤. تعريف الإيمان:

هو الإقرار والتصديق، ويتضمن الأعمال الباطنة؛ كالخوف والرجاء والمحبة والإخبات والخشية والتوكل، فيتضمن أعمال القلوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لفظ الإيمان مرادفاً للفظ التصديق كما يظنه طائفة من الناس»[١]، وقد بين الفرق بين الإيمان والتصديق من عدة وجوه، وهي:

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٢٩).

**الوجه الأول**: أن التصديق يستعمل في كل خبر، وأما الإيمان فيستعمل في الأمور الغائبة؛ كما قال إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

**الوجه الثاني**: أن لفظ «آمن» تختلف عن «صدق» من حيث التعدي وعدمه، فـ«آمن» لا بد أن يتعدىٰ بالباء أو اللام، فيقال: «آمن به، آمن له»، ولا يقال: «آمَنَه»، ولكن يقال: «أمِنَه» من الأمان الذي هو ضد الإخافة، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، وقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وأما لفظ «صدق» فإنه يتعدىٰ بنفسه، فيقال: «صدقه، وصدق به»، ولا يقال: «صدق له».

**الوجه الثالث**: لفظ «الإيمان» يقابل بالكفر، ولفظ «التصديق» يقابل بالتكذيب، فلا يقال عند الخبر الصادق: «آمنا به» وإنما يقال: «صدقناه»، ولا يقال عند الخبر الكاذب «كفرنا به»، وإنما يقال: «كذبناه».

**الوجه الرابع**: لفظ «الإيمان» مشتق من الأمن، فيتضمن الاطمئنان مع التصديق، كما في قوله تعالىٰ حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: لا تقر بخبرنا، ولا تطمئن إليه[١]. وهذا لا يقال في التصديق.

### ٥. الفرق بين الإسلام والإيمان:

يقول أهل العلم: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ أي: إذا اجتمعا في النص اختلفا وافترقا في المعنى، واذا افترقا في النص اجتمعا في المعنى، فإذا اجتمع لفظ الإيمان والإسلام اختلف معنىٰ كل منهما، فيكون الإسلام متضمناً للأعمال الظاهرة، والإيمان متضمناً الأعمال الباطنة.

ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣)، (٧/ ٥٢٩ ـ ٥٣٤).

أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، ففرّق بين الإسلام والإيمان، فجعل الإسلام شيئاً، وجعل الإيمان شيئاً آخر.

وكذا ما ذكره الله تعالىٰ عن لوط عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]، ففرق بين المؤمنين والمسلمين، وذلك أنه تبارك وتعالى لما ذكر من نجىٰ؛ ذكر أنه نجىٰ المؤمنين فقط، وهم لوط وبناته، وأما قوله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وذلك لوجود منافقة، وهي امرأة لوط، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠]، فدخلت في مسمىٰ الإسلام؛ لأنها كانت تظهره، وتظهر المتابعة للوط عليه السلام، ولكن لما كان لم يدخل الإيمان إلىٰ قلبها؛ لم ينجها الله تبارك وتعالى، وإنما نجىٰ المؤمنين.

وكذلك لما جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ فسأله عن الإسلام، فقال ﷺ: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»، فذكر الأعمال الظاهرة. ثم سأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»(١) فذكر أعمال القلوب.

ولما أعطىٰ النبي ﷺ بعض أصحابه مالاً ولم يعط أحدهم؛ جاء سعد بن أبي وقاص، فقال: يا رسول الله! إني والله لأراه مؤمناً. فقال رسول الله ﷺ: «**أو مسلماً**»؟ قال: يا رسول الله! إني والله لأراه مؤمناً. قال: «**أو مسلماً**»؟ قال: والله إني لأراه مؤمناً. قال: «**أو مسلماً**»؟(٢)، فأراد النبي ﷺ أن ينبهه إلىٰ أن الإسلام شيء، والإيمان شيء آخر.

---

(١) أخرج البخاري (٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠)، من حديث سعد رضي الله عنه.

**خلاصة القول**: إذا ذكر الإسلام والإيمان معاً فإن لكل واحد منهما معنىٰ، وإذا ذكر الإيمان وحده؛ فإنه يشمل الإيمان والإسلام، وإذا ذكر الإسلام وحده؛ فإنه يشمل الإسلام والإيمان معاً.

### ٦. الغاية من خلق العباد:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون»[١].

وقوله: ﴿إِلَّا﴾ يفيد الحصر والاختصاص.

فالغاية من خلق العباد هي عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك، وهٰذا يشمل الجن والإنس.

### ٧. أقسام التوحيد:

ينقسم التوحيد إلىٰ قسمين:

**القسم الأول: توحيد الألوهية «القصد والطلب»**، ويسمى التوحيد العملي وهو إفراد الله بالعبادة، ويشتمل علىٰ أعمال الجوارح وأعمال القلوب.

**فمن أعمال الجوارح**: الصلاة، والزكاة، والحج، والسجود، والذبح، والنذر، فهٰذا كله من أعمال الجوارح.

**ومن أعمال القلوب**: الخوف، والرجاء، والإخبات، والتوكل، والخشية، والتقوىٰ.

**القسم الثاني: توحيد الربوبية «المعرفة والإثبات»**، ويسمى التوحيد العلمي وهو إفراد الله بأفعاله، وهي مأخوذة من لفظ «الرب»، ومدار هذا اللفظ علىٰ الخلق والملك والتدبير.

وتوحيد الله بأفعاله يتضمن أسماءه وصفاته.

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب التفسير، تفسير سورة الذاريات.

والعامة تعرف توحيد الألوهية بأنه ما كان من العبد إلىٰ الله، وتوحيد الربوبية ما كان من الله إلىٰ العبد.

وقد قسم بعض أهل العلم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام: ألوهية، وربوبية، وأسماء صفات. وبعضهم قسمه إلىٰ قسمين: ألوهية وربوبية، والأمر واحد، فإن من قسمه إلىٰ ثلاثة أقسام أخرج توحيد الأسماء والصفات لكثرة الخوض فيه، ولانحراف جميع الفرق المخالفة لأهل السنة فيه، ولذٰلك ناسب أن يهتم أهل العلم بهٰذا القسم اهتماماً خاصاً، ولذا أفرد بالتصنيف، وإلا فإن توحيد الأسماء والصفات داخل ضمن توحيد الربوبية «المعرفة والإثبات».

وقد يتعدىٰ البعض هٰذا الأمر، فيقول مثلاً: لماذا لا نفرد أقساماً أخرىٰ، فنجعل التوحيد أربعة أقسام أو خمسة أقسام أو غير ذلك من التقسيمات.

فنقول: من حيث المبدأ ـ وهو الاهتمام بأقسام التوحيد ـ أمر طيب، أما التقسيم بحيث إنه يجعل أقساماً أخرىٰ، فهٰذا قد يوقع الناس باللبس، خاصة وقد تسالم العلماء علىٰ هٰذه الأقسام الثلاثة.

وهناك من جعل التوحيد أربعة أقسام، فميز توحيد الحاكمية، وهٰذا خطأ؛ لأن توحيد الحاكمية ـ مع أهميته ـ داخل في توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فإفراده وحده من الخطأ.

ثم هٰذا الفعل يفتح باباً للذين يلهجون بالتكفير، ويكون هو حديثهم وديدنهم، فينحرفون عن الحق كما وقع لكثير من الناس. فلا يختلف أحد من المسلمين في وجوب التحاكم إلىٰ الله، وأن الحكم لله ﷻ، ولكن إفراده بهٰذه الطريقة عابه أهل العلم ومنعوا منه.

وقد جمع الله التوحيد في سورتي الإخلاص: الكافرون ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

والإخــــــلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

فنجد أن سورة الإخلاص التي هي سورة الصمد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فهٰذه تشتمل علىٰ التوحيد العلمي الخبري، فهو خبر عن الله تعالىٰ، فهو توحيد ربوبية، فالسورة تتكلم عن الله، ولذٰلك قيل عن هٰذه السورة «صفة الرحمٰن».

ولما بعث النبي ﷺ رجلاً علىٰ سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته بسورة الإخلاص، فقال النبي ﷺ: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبيﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[(١)].

فهي تتكلم عن الله، من هو؟ فيخبر الله عن نفسه، فيقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، فكلها خبر عن الله، فهي توحيد خبري علمي.

وأما سورة الإخلاص الأخرىٰ «الكافرون»؛ فهي تتكلم عن التوحيد العملي، ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾، فهي تتكلم عن المستحق للعبادة، من الذي يُعبد؟ إلىٰ من تُصرف العبادة؟ فهو توحيد الألوهية، التوحيد العملي الذي يكون من العبد إلىٰ الله.

إذاً هذان التوحيدان ذكرهما الله ﷻ في هاتين السورتين، وجمع الله الأنواع الثلاثة في قوله ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

ففي قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ توحيد الربوبية.

وفي قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ توحيد الألوهية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٠)، ومسلم (٨١٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] توحيد الأسماء والصفات، فيخبر الله ﷻ أن ليس له سمي ﷻ.

وهذان التوحيدان ـ المعرفة والإثبات، والقصد والطلب ـ لا ينفصلان، فلا يمكن للإنسان أن يكون مسلماً حتىٰ يجمع هذين التوحيدين، فإذا حقق توحيد المعرفة والإثبات، وأثبت لله الأسماء والصفات، وأنه هو الخالق البارئ وغير ذلك، لكنه صرف العبادة إلىٰ غير الله؛ فهٰذا لا يكون مسلماً، بل يكون مشركاً، وهٰذا حال كفار قريش لما بعث فيهم النبي ﷺ.

وكذلك لو حقق الإنسان العبادة لله تعالىٰ وحده لا شريك، فدعا الله، وذبح له، وأخبت له، وغير ذلك من أوجه العبادة، لكنه أثبت خالقاً غير الله، ورازقاً غير الله، وأشرك في أسمائه وصفاته؛ فهٰذا كذلك لا يكون مسلماً.

## ٨. ضدان لتوحيد الأسماء والصفات:

أعظم ضدين لهٰذا القسم من التوحيد هما: التعطيل والتمثيل، وكل الفرق التي خالفت أهل السُّنَّة والجماعة كان انحرافها في هٰذا التوحيد، وإن كانت بعض الفرق قد انحرفت في التوحيد العملي «العبادة»، وقلة من انحرف في توحيد الربوبية.

ولكن أكثر الانحراف الذي أخبر عنه النبي ﷺ في قوله: «**وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة**»[1] كان في هٰذا الباب، وهو توحيد الأسماء والصفات، ووفقه أهل السُّنَّة إلى الحق في هٰذا القسم.

## ٩. فضل التوحيد:

إن لتوحيد الله ﷻ فوائد وفضائل عظيمة، ويظهر ذلك جلياً من خلال الفوائد التالية:

١. **أنه يحصل لصاحبه الأمن في الدنيا والآخرة**، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]،

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٦)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ أي ليس لغيرهم الأمن، فالذين حققوا التوحيد هم الذين يكون لهم الأمن، ومن خالف في هٰذا التوحيد؛ فليس له الأمن أبداً.

وقد أشكلت هٰذه الآية علىٰ بعض الصحابة ﷺ، وذلك أنهم ظنوا أن الظلم هنا هو الظلم العام؛ كظلم الإنسان لنفسه وأخيه وغير ذلك، فقالوا: يا رسول الله! وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ: «**ليس الظلم الذي تذهبون إليه، ألم تسمعوا قول العبد الصالح:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)].

وفي رواية: «**إنما هو الشرك**»[(٢)].

فالظلم الذي أراده في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] هو ظلم الشرك، فيكون المعنىٰ: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

والناس في هٰذا يتفاوتون؛ لأن الإيمان يتفاوت في القلوب، ولذٰلك قال بكر بن عبد الله المزني: ما فاق أبو بكر أصحاب محمد ﷺ بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن شيء كان في قلبه[(٣)].

فالتوحيد الذي يكون في القلب أعظم بكثير من أعمال الجوارح، ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء، فوُزنتُ بالأمة فوزنتهم، ثم وزن أبو بكر فوزنهم، ثم وزن عمر في الأمة فوزنهم، ثم وزن عثمان في الأمة فوزنهم**»[(٤)] وهٰذا لشيء وقر في قلوب هٰؤلاء، فجعلهم يرتفعون درجات عن سائر الناس.

فلا ينبغي للإنسان أن يحتقر غيره إذا وجد أن عبادته الظاهرة أحسن من عبادة ذلك الرجل؛ لأنه قد يكون لهٰذا الرجل من الأعمال القلبية ما يفوق

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (١٢٤)، من حديث ابن مسعود ﵁.
(٢) أخرجها البخاري (٣٢٤٦)، من حديث ابن مسعود ﵁.
(٣) «غذاء الألباب» للسفاريني (١/ ٣٦). (٤) أخرجه أحمد بنحوه (٢٣١٩٣).

أعماله كلها، فالإنسان دائماً يتهم نفسه بالتقصير، ولا يتهم الآخرين طالما أنه لا يعلم ما في قلوبهم من الإيمان والدين.

قال النبي ﷺ: «**رُبّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**»[(١)].

وفي رواية: «**كم من أشعث أغبر لو أقسم علىٰ الله لأبره**»[(٢)] مع أنه أشعث أغبر لا يلتفت إليه الناس.

وأخبر النبي ﷺ عن ولي الله، فقال: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[(٣)]؛ يعني الذي لا يعرفه الناس، ولا يعرفون أنه ولي من أولياء الله ﷻ.

٢. **إن قبول الأعمال متوقف علىٰ التوحيد**، فلا يقبل الله عملاً بلا توحيد، كما قال الله تعالىٰ عن الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، فالكافر لا يقبل الله منه أعماله.

ولما سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان، قالت: يا رسول الله! قد علمت ما كان من عبد الله بن جدعان ـ أي من الكرم والإنفاق والبذل ومحبة الناس له ـ فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال النبي ﷺ: «**إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[(٤)]، فمفهومه أنه لا ينفعه هٰذا كله إلا إذا أسلم.

وهو خلاف ما وقع لحكيم بن حزام رضي الله عنه، ابن أخي خديجة فقد كان صاحب نفقات وصدقات وبذل في الجاهلية، فلما أسلم حكيم؛ سأل النبي ﷺ، قال: يا رسول الله! قد كان لي ما تعرف ـ فالنبي يعرفه، فخديجة رضي الله عنها عمته ـ فهل ينفعني ذلك شيئاً؟ فقال له النبي ﷺ: «**أسلمتَ علىٰ ما أسلفت من خير**»[(٥)] فنفعه بعد إسلامه وتوحيده.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الترمذي بنحوه (٣٨٥٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٥٢٦٥)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم (٢١٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٥) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (١٢٣)، من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

ومن ذلك حاتم الطائي الذي عُرف بالكرم، حتىٰ صار مضرباً للمثل، فيقال: «أكرم من حاتم»، وولده عدي أسلم، فسأل النبي ﷺ عما كان من أبيه من الكرم وصلة الرحم، فقال ﷺ: «**إن أباك أراد أمراً فأدركه**»[١]؛ يعني ذكر الناس له وثناءهم عليه، فلم يرد وجه الله؛ لأنه غير موحد، وإنما أراد الدنيا وقد نالها.

٣. **أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم**، كما قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[٢]، وهٰذا الكلام ليس لابن عباس وحده، بل هو عام للأمة كلها، فإذا آمن الإنسان بهٰذا الأمر، واعتقد في الله أنه هو المدبر، وأنه لا يقع إلا ما يريد، وأن ما أراده الله كائن، وما لم يرده لم يكن ولو أراده الناس كلهم؛ لوجدته لا يخاف من أحد، ولا يحتاج إلىٰ أحد، ويلجأ إلىٰ الله تعالىٰ دائماً، ويعلم أن الأمر كله بيد الله عز وجل.

وجاء عن سعيد بن جبير رحمه الله أن الحجاج قال له: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. فقال له سعيد: لو علمتُ أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً[٣]. ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وهٰذا يشمل الخير والشر.

فإذا علم الإنسان أن الأمر كله لله؛ فإنه لا يتزلف لأحد، ولا يتعلق بأحد، فيترك الرق للمخلوقين، ويكون عبداً رقيقاً لرب الخلق أجمعين تبارك وتعالى.

٤. **أنه يمنع من الخلود في النار**، وذلك أن من يدخل النار علىٰ قسمين:

**الأول: كفار**، وهم مخلدون في النار.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٢٦٢).
(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٩٣).

**الثاني: مسلمون**، وهم أهل الكبائر من هٰذه الأمة، سواء كانت الكبائر من الفواحش أو من البدع، فهٰؤلاء يدخلون النار، ولكنهم لا يخلدون فيها طالما أن عندهم أصل التوحيد.

ولذٰلك قال النبي ﷺ: «**وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة**»(١) فستكون إحدىٰ هٰذه الفرق ناجية، وهي التي ستدخل الجنة مباشرة، وهي التي أخبر النبي ﷺ عنها بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذٰلك**»(٢).

وأما الفرق الأخرىٰ؛ فطالما أنها تملك أصل التوحيد فإنها لا تخلد في النار؛ لأن النبي ﷺ سماهم أمته، ؛ أي: أمة الاستجابة، وهم الذين استجابوا للنبي ﷺ.

قال النبي ﷺ: «**ما من عبد قال: لا إلـه إلا الله، ثم مات علىٰ ذلك؛ إلا دخل الجنة**»(٣) فالموحد سيدخل الجنة إن عاجلاً أو آجلاً، وإن فعل ما فعل في حياته، فطالما أن عنده أصل التوحيد؛ فإنه لا يخلد في نار جهنم ولو دخلها.

والموحدون يتفاوتون في هذا، فمنهم من لا يدخلها أصلاً، ومنهم من يدخلها قليلاً ثم يخرج، ومن الناس من يطيل المدة، وهكذا حتىٰ يخرج آخر رجل من النار، ثم لا يبقىٰ في النار إلا أهلها الخالدون فيها وهم الكفار فقط.

وهٰذا لا يعني للإنسان أنه يتساهل في المعاصي بحجة أنه موحد، وأنه سيدخل الجنة، يقول النبي ﷺ: «**يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيغمس فيها غمسة، ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك خير قط؟ فيقول: لا والله ما رأيت خيراً قط**»(٤)، فكيف بالذي يمكث مدة طويلة؟!!

---

(١) تقدم تخريجه، ص١٤.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٥٤٨٩)، ومسلم (٩٤)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٠٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثم الإنسان لا يأمن علىٰ نفسه من الكفر، وذلك أن المعاصي بريد الكفر،؛ أي: إنها توصل إلىٰ الكفر.

وفي هذا المعنىٰ يذكر وهب بن منبه قصة عابد كان في بني إسرائيل، فجاءه ثلاثة إخوة بأختهم، وقد أرادوا السفر، فطلبوا منه أن يبقيها عنده، فامتنع، ثم رضي بعد إلحاح، وما زال الشيطان به حتىٰ زنا بها، فحملت منه، فلما ولدت قتلها وولدها، وحين اكتشف أمره، وأخذ ليقتصَّ منه، جاءه الشيطان فقال له: أنا الذي أوصلتك إلىٰ هٰذا المكان، ولن ينجيك غيري، فأطعني أنجيك. فقال الراهب: كيف؟ قال: اسجد لي سجدة. فسجد له، فتركه الشيطان، فقُتل كافراً.

وفيه وفي غيره قول الله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧][(١)].

فالإنسان مهما ارتكب من المعاصي ـ طالما أنه موحد ـ فإنه ناجٍ عند الله ﷻ.

٥. **أنه سبب لمغفرة الذنوب**، قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ غفرت لك ذلك ولا أبالي**»[(٢)] هٰذا قول ربنا ﷻ، فجعل التوحيد شرطاً لمغفرة الذنوب.

٦. **أنه سبب لنيل رضىٰ الله**، فإذا وحد العبد ربه ﷻ رضي الله تعالىٰ عنه، وإذا رضي عنه أثابه الخير العميم ﷻ.

٧. **أنه يكثر القليل**، كما جاء في حديث البطاقة المشهور: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا**

(١) أخرجها ابن الجوزي في «ذم الهوىٰ» (ص١٥٩)، وانظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، والترمذي (٣٤٦٣)، من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ له.

**رب. فيقول: بلىٰ، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هـٰذه البطاقة مع هـٰذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»**[1] وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فالإنسان إذا مات علىٰ التوحيد؛ فليبشر بالخير، حتىٰ لو مسه بالعذاب؛ لأنه في نهاية الأمر سيكون من أهل جنات النعيم.

٨. **الموحد أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ**: ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[2] وهي أمة التوحيد والإجابة، وليست أمة الدعوة.

## ١٠. معنىٰ توحيد الأسماء والصفات:

هو إفراد الله بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، والإيمان بمعانيها وعدم تكييفها، وعدم تمثيلها أو تعطيلها أو تكييفها أو تحريفها.

**والأسماء:**؛ أي: ما دلت علىٰ الذات، وقامت بها من الصفات، فعندما تقول: «الله» فإنه اسم يدل علىٰ ذات الله ﷻ، وكذا اسمه «الحي»، و«الرحمٰن»، و«العزيز»، فهـٰذه أسماء تدل علىٰ ذات الله ﷻ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فهـٰذه أسماء تدل علىٰ الله تعالىٰ، فنؤمن بهـٰذه الأسماء.

**وأما الصفات**؛ فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها، وذلك أن كل ذات لها صفات تميزها عن غيرها، فالإنسان له صفات تميزه عن غيره، والجماد له صفات تميزه عن غيره، والحيوان له صفات تختلف عن غيره.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٣٥٤٠)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وصفات الله تعالىٰ تنقسم إلىٰ أقسام:

**القسم الأول: صفات ذاتية**، ويطلق عليها بعض أهل العلم بالصفات الخبرية؛ كصفة الوجه، واليدين، والأصابع، والقدم، وغيرها. وهي بالنسبة للمخلوق تسمىٰ «الجوارح»، وأما بالنسبة لله فلا يقال: جوارح، وإنما يقال لها: صفات ذاتية خبرية.

**القسم الثاني: صفات معنوية**؛ أي: ليس لها جرم تقوم به؛ كصفة العلم، والإرادة، والقوة، والمحبة، والغضب، وغيرها.

**القسم الثالث: صفات فعلية**، وهٰذه يفعلها الله ﷻ متىٰ شاء؛ كصفة النزول، فالله تعالىٰ ينزل في الثلث الأخير من الليل، وكذا صفة الاستواء، فالله استوىٰ علىٰ العرش بعد ما خلقه.

وهٰذا بخلاف الصفات المعنوية؛ كصفة العلم، فلا يقال: إنه لم يكن عالماً في وقت من الأوقات؛ لأنها صفة ثابتة لله تعالىٰ، وكذا صفة الإرادة ثابتة، وكذا القدرة، والحياة، والسمع، والبصر، وهكذا لا تنفك عنه. وكذلك الصفات الذاتية لا تنفك عن الله ﷻ.

ولكن الصفات الفعلية تأتي إذا جاءت أسبابها، وسيأتي التفصيل في هذا.

## الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية

| الصفات الذاتية | الصفات الفعلية |
|---|---|
| تتعلق بالذات فلا تنفك عن الله تعالى | تتعلق بالمشيئة وتنفك عن الله |
| لا يقال فيها: متىٰ وأين؟ | تحدث وتتجدد |
| لا تقبل العدد | تقبل العدد، مثل عدد المرات التي تكلم فيها الله ﷻ |
| لا يجوز أن يوصف الله بضدها؛ لأن ضدها نقص | يمكن أن يوصف الله تعالىٰ بضدها، فيقال: غضب ورضي، وأحب وكره |

## ١١. أهمية توحيد الأسماء والصفات:

**أولاً: معرفته أصل الدين وأساس الإسلام**، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان»[٢].

**شرف العلم بشرف المعلوم**، وذلك أن هٰذا العلم يتناول أسماء الله وصفاته، فيَشْرُف هٰذا العلم بشرف من ينسب إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنحن نتكلم عن أسماء الله، عن صفات الله، فيعظم هٰذا العلم لأننا نتكلم عن العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**ثانياً: العلم بالله مطلوب لذاته**، وذلك أن العلم من حيث طلبه ينقسم إلىٰ قسمين:

- **الأول**: مطلوب لذاته.
- **الثاني**: مطلوب لغيره.

وهٰذا العلم مطلوب لذاته، فهو أعظم من المطلوب لغيره؛ لأنه غاية والغاية أعظم من الوسيلة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، فخلق السماوات والأرض لنصل إلىٰ هٰذه القضية، وهي ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالتوحيد في حد ذاته مطلوب لذاته، وخلق السماوات والأرض لمعرفة قدرة الله وعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**ثالثاً: عبادة الله بموجبها**؛ أي: أن نعبد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونحن نعرف أسماءه وصفاته، ففرق عظيم بين من يعبد الله وهو يعرفه بأسمائه وصفاته، وبين من يعبده ولا يعرفه، فالخوف والرجاء مرتبطان بمعرفة من يُخاف ومن يُرجىٰ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/٦).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/٣٤٧).

ولذلك قيل: الممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد الله ﷻ.

فكلما تعرف الإنسان على الله أكثر؛ كلما كانت العبادة أكمل وأفضل وأتقن لله تعالى، فإذا عرفت أسماء الله وصفاته ﷻ؛ عبدته العبادة الحقة، ولذلك قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أي: كلما ازداد الإنسان علماً؛ كلما ازداد لله خشية.

**رابعاً: حياة القلوب،** فأي شيء أطيب وألذ من معرفة الله ﷻ؟ ولذلك صار من أعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه الله تعالى، فالذي لا يؤمن أن الله يُرى في الجنة، فهل سيتلذذ بهذا النعيم؟! وإنما يتلذذ بهذا النعيم من يعرفه في هذه الدنيا ويتشوق إليه في الآخرة.

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فعندما يقع الإنسان في معصية، ثم يتذكر أن من أسماء الله تعالى العفو، الغفور، الودود، الرحمن، الرحيم؛ فإنه سيطمئن قلبه، ويدعو الله بهذه الأسماء وهو مطمئن.

وعندما ذكر اليهودي للنبي ﷺ أن الله يرفع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والجبال على إصبع؛ قال النبي ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][١]، فالذي يقدر الله حق قدره من عرفه حق المعرفة.

**خامساً: زيادة الإيمان ورسوخه في القلب،** فكلما عرف الإنسان ربه أكثر؛ كلما زاد إيمانه أكثر.

**سادساً: فتح باب الدعاء بها،** فيدعو الله ﷻ بأسمائه وصفاته بحسب ما تدل عليه، فيستشعر المعاني عند دعائه بها، فيختار الأسماء والصفات المناسبة، فلا يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي يا قوي يا عزيز، وإنما يقول: اللَّهُمَّ اغفر إنك أنت الغفور الرحيم، وهكذا في باقي الأسماء والصفات.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦)، من حديث ابن مسعود ﷺ.

### ١٢. ضوابط عامة في الاعتقاد:

هناك ضوابط عامة في الاعتقاد لا بد من التنبه لها والاهتمام بها، وهي:

**أولاً: الاعتقاد الجازم بكمال الدين**، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فيجب علىٰ المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الدين قد كمل، ولا نقص فيه، فما توفي النبي ﷺ إلا بعد أن أكمل الله هـٰذا الدين، فلا يحتاج إلىٰ أحد يأتي ويعقب علىٰ نبينا محمد ﷺ.

**ثانياً: اليقين التام بأن النبي ﷺ قد بلغ كل ما أُمر به**، فلم يقصر في شيء من التبليغ، مصداقاً لقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

**ثالثاً: الاعتقاد الجازم بأن النبي ﷺ بيّن بياناً شافياً كافياً واضحاً**، فلم يكن النبي ﷺ يتكلم بألغاز، أو يشير بإشارات، وإنما كان قوله واضحاً، كما أخبر «**تركتكم علىٰ البيضاء، ليلها كنهارها**»[1].

**رابعاً: الاعتقاد الجازم بأن الدين محفوظ عند عموم الصحابة** ﭫ، فلم يضع منه شيء، وقد تفرق فيهم، ولم ينحصر في واحد منهم، ولكن إذا جمعناهم جميعاً؛ فإننا نجد كل الدين عندهم.

وقد يكون بعض الصحابة اطلع علىٰ شيء لم يطلع عليه الآخر، وهـٰذا أمر طبيعي؛ لأن النبي ﷺ قد يتحدث أحياناً في سفره، وأحياناً مع شخص أو شخصين، أو في بيته مع نسائه.

ومن ذلك قصة الطاعون المشهورة، لما سافر عمر إلىٰ الشام مع بعض أصحاب النبي ﷺ، وسمعوا بالطاعون، فوقف عمر، وقال لهم: بلغنا أن الطاعون وقع في الشام، فماذا ترون؟ فاختلفوا. فقال: ائتوني بالمهاجرين، فجاؤوا وحدهم، فقال لهم: ماذا ترون؟ فاختلفوا، فنادىٰ الأنصار، فاختلفوا،

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، من حديث العرباض بن سارية ﭬ.

فنادىٰ مشيخة قريش، وهم كبار السن في قريش، فاستشارهم، فأجمعوا أمرهم علىٰ أن لا يدخل الشام، ثم رأىٰ أن لا يدخل ﷺ، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال له عمر: نعم، نَفِرُّ من قدر الله إلىٰ قدر الله. ولم يكن معهم نص عن النبي ﷺ، وكلها اجتهادات منهم في ضوء النصوص العامة من الكتاب والسُّنَّة.

وبينما هم كذلك؛ جاء عبد الرحمٰن بن عوف، وكان قد غاب في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هٰذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به في أرض؛ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض أنتم بها؛ فلا تخرجوا فراراً منه**»[1] فهٰذه السُّنَّة لم يعرفها إلا عبد الرحمٰن بن عوف مع غيابها عن باقي الصحابة.

**خامساً: لا تزال طائفة من هٰذه الأمة قائمة بالحق ناصرة له**، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ويقول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**»[2]، فهٰذه مسألة نجزم بها، وهي بقاء الطائفة المنصورة إلىٰ قرب قيام الساعة، كما قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع بن لكع**»[3]؛ أي: كافر بن كافر.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٧)، ومسلم (٢٢١٩)، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) تقدم تخريجه، ص١٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٣٠٤)، والترمذي (٢٢٠٩)، من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

# الفصل الأول

# قواعد في أسماء اللّٰه وصفاته

وفيه:

**١. ثلاثون قاعدة في أسماء الله تعالىٰ وصفاته.**

**٢. فروع مهمة، وتشتمل على:**

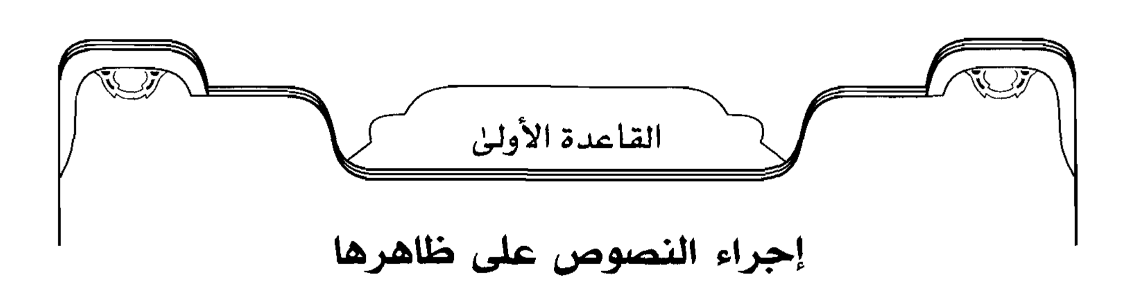
ـ موقف السُّنَّة من القرآن الكريم.

ـ أصل ضلال الخلق.

ـ التحريف.

ـ التأويل.

ـ الإلحاد في أسماء الله وصفاته.




## إجراء النصوص على ظاهرها

وذلك أن الأصل في الكلام ظاهره، وهٰذا يشمل أي كلام، فإذا قلت لك: «بنيت بيتاً»، فالظاهر منه أنه البيت المعروف المتخذ للسكنىٰ، وهٰذا الذي يتبادر إلىٰ الذهن مباشرة، ولا يقال: إن المراد بيت من الشعر، إلا إذا دلت قرينة عليه.

ومن ذلك قولك: رأيت أسداً، فيحتمل الأسد الحيوان المعروف، ويحتمل الرجل الشجاع القوي، ويعرف هٰذا بالقرينة التي تدل عليه، مثل قولك: رأيت أسداً يجاهد في سبيل الله؛ فإن المراد هو «الرجل الشجاع»، وأما إن قلت: رأيت أسداً يطارد فريسته؛ فإن المراد هو «الأسد المعروف».

فإذا جاءت قرينة تدل علىٰ أن الظاهر غير مراد قيل به، وإلا صارت فوضىٰ، خاصةً في الكلام علىٰ صفات الله تعالىٰ.

ولذٰلك قال قائلهم:

**وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة**

فهٰذا الكلام كفر بالله تعالىٰ والعياذ بالله، ففيه القول بوحدة الوجود[١]، وهٰذا علىٰ ظاهر البيت، ولكنهم صرفوا الظاهر بقولهم: «**وما الكلب والخنزير إلا خلق إلهنا، وما الله إلا خالق راهب في كنيسة**»، ولا شك أن هٰذا بعيد جداً.

فإن قال قائل: لعلَّ الظاهر غير مراد!!

---

(١) **وحدة الوجود**: اعتقاد أن كل شيء في الوجود هو الله.

فنقول: ما القرينة؛ لأن الله لا يريد أن يضلنا، بل ليدلنا علىٰ الخير، ولا نصرفه عن ظاهره إلا بقرينة، والقرينة تفهم من سياق الكلام.

ومن ذلك لفظ «القرية»، ففي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨]؛ فإن المراد بالقرية المساكن والبيوت علىٰ ظاهر الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]؛ فإن المراد أهل القرية، فصُرف لفظ «القرية» في هذه الآية عن ظاهره بدلالة السياق.

فإذاً الأصل في الكلام أن يُجرىٰ علىٰ ظاهره، ولا يجوز أن يصرف عن ظاهره إلا بقرينة تدل علىٰ خلاف الظاهر؛ لأن الله ﷻ خاطبنا بلسان عربي مبين، ولو كان الأصل هو غير الظاهر؛ لما فهمنا كلام ربنا ﷻ، ولضللنا عن الصراط المستقيم.

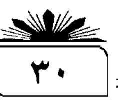
قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن عربي كما وصفت، والأحكام فيه علىٰ ظاهرها وعمومها»(١).

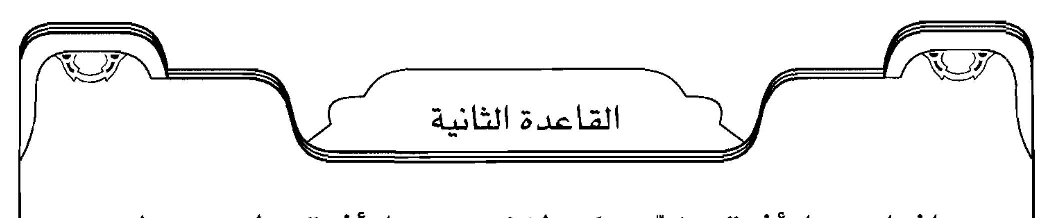
وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات علىٰ ظاهرها من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر، ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) «اختلاف الحديث»، ص٤٨١.

(٢) «التحف في مذهب السلف»، ص٦٤.






## إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته له رسوله ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ

إن الله تعالىٰ أمرنا بالإيمان بما أخبرنا به وأخبرنا به رسوله ﷺ، ومن ذلك: أسماؤه وصفاته، فما أثبته الله ورسوله نثبته، وما نفاه الله ورسوله ننفيه، وما لم يرد فيه إثبات ولا نفي نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه؛ لأن كل ما يتعلق بالله لا يمكننا معرفته إلا عن طريق الوحي؛ لأنه غيب، والله تعالىٰ أعظم الغيب، فلا يجوز وصفه ـ سبحانه ـ بوصف أو تسميته باسم لم يرد في القرآن أو في السُّنَّة؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية، ولا بد أن نلتزم بما جاء عن الله، وذلك لأن الله:

**أولاً**: أصدق حديثاً، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

**ثانياً**: أعلم بنفسه من غيره، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

**ثالثاً**: أنصح للخلق، فلا يريد أن يضلنا، قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

**رابعاً**: أفصح، ولذلك قال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وكذا الأمر بالنسبة للنبي ﷺ، فهو:

**أولاً**: أصدق الخلق، قال الله عنه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣].

**ثانياً**: أعلم الخلق، قال ﷺ: «**أعلمكم بالله أنا**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠)، من حديث عائشة ﵂.

**ثالثاً**: أنصح الخلق، كما قال الله تعالىٰ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨].

**رابعاً**: أفصح الخلق، كما قال ﷺ: «**وأتيت جوامع الكلم**»(١)، والفصيح هو الذي يستطيع أن يوصل المعلومة التي يريدها بأخصر عبارة وأوضحها، ولذٰلك يقال: «أفصح الكلام ما قلّ ودلّ»، والنبي ﷺ قد نال السبق في هذا.

**ونقبل** ما جاء عن النبي ﷺ في صفات الله تعالىٰ بالقول، والفعل، والإقرار.

**أما القول**: فقد قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا** ﷻ **كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا**»(٢).

**وأما الفعل**: ففي حجة الوداع خطب الناس وقال: «**وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلىٰ السماء وينكتها(٣) إلىٰ الناس «**اللَّهُمَّ اشهد**» ثلاث مرات(٤).

**وأما الإقرار**: وهو أن يوافق النبي ﷺ أحداً علىٰ فعل أو قول، مثل قوله ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. فقال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»(٥). فأقرها النبي ﷺ، ولا يمكن أن يسكت النبي ﷺ عن الباطل، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز.

والقول علىٰ الله بغير علم محرم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أي: يخفضها ويميلها إليهم.
(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(٥) أخرجه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه.

وأخبر الله تعالىٰ أن الكلام عنه بغير علم من عمل الشيطان، فقال ﷻ عن الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩].

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه سوء أدب مع الله، وظلم وعدوان في حقه؛ لأنه لو أن أحداً دعاك بغير اسمك أو سماك بغير اسمك، لاعتبرته قد اعتدىٰ عليك وظلمك، هذا في المخلوق، فيكف بالخالق؟! إذاً ليس لك حق أن تسمي الله بما لم يسمِّ به نفسه، فإن فعلت فأنت ملحد في أسماء الله»[(١)]، فالإنسان لا يتكلم علىٰ الله تعالىٰ إلا بعلم، سواء من نص الله ﷻ أو نص رسوله ﷺ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن أصحاب النبي ﷺ: «إنهم كانوا أبرَّ هٰذه الأمة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرقهم، فإنهم ـ ورب الكعبة ـ علىٰ الهدىٰ المستقيم»[(٢)].

وذلك أن أصحاب النبي ﷺ وقفوا، فلم يتكلموا عن الله ﷻ إلا بما جاء في كتابه، أو ما جاء عن رسوله ﷺ، فلا تجد أبداً فرقةً من الفرق المنحرفة تنتسب إلىٰ صحابي أبداً.

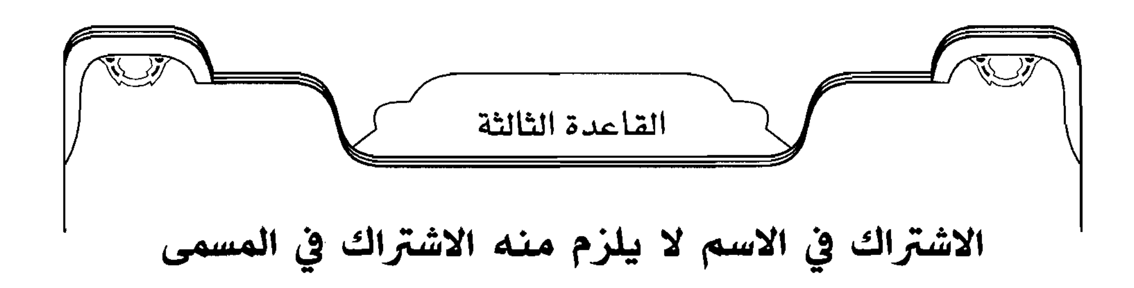
وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنَّة من صفاته ﷻ»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز الكتاب والسُّنَّة»[(٤)].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه، يسلم له ولا يناظر فيه»[(٥)].

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ١٢٠).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٧).
(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤).
(٤) «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٥/ ٢٦).
(٥) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٦).



القاعدة الثالثة

# الاشتراك في الاسم لا يلزم منه الاشتراك في المسمى

**الاشتراك**: هو أن يتفق الاسم في اللفظ، ويختلف حقيقته ومعناه، وهذا ظاهر في اشتراك أسماء المخلوقات، فإنها تشرك في أسمائها ولا تشترك في حقائقها.

**مثاله**: عند إطلاق لفظ «العين» فإنه قد ينصرف إلىٰ العين المبصرة، وقد ينصرف إلىٰ عين الماء، وقد يراد بها الجاسوس، أو عين الحاسد، فاشترك اللفظ واختلف المعنى، وانتفاء ذلك بين الخالق والمخلوق أولىٰ وأظهر.

**مثال آخر**: لفظ «الملك»، فهو اسم لله ﷻ كما قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ويطلق أيضاً علىٰ ملك الناس، وقد سماهم الله ملوكاً كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [يوسف: ٤٣]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله يقول إذا قبض الأرض وطوىٰ السماوات بيمينه: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»[1]، فالله سمىٰ بعض عباده باسم «الملك»، وتسمىٰ ﷻ باسم «الملك»، ولكن ملك الله تعالىٰ ليس كملك غيره، ولا يمكن أن يقارَن بين ملك الله تعالىٰ وملك غيره من المخلوقين، وهذا اشتراك في الاسم فقط، ولا يلزم من الاشتراك في اللفظ الاشتراكُ في المعنىٰ والحقيقة.

**مثال آخر**: لفظ «العزيز»، فهو اسم من أسماء الله، كما قال تعالى: ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩]. وقد سمىٰ بعض عباده بـ«العزيز»، كما في قوله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٢٧٨٧)، من حديث أبي هريرة ؓ.

تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وقوله ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٧٨]، فهذا اشتراك في اللفظ فقط، أما المعنىٰ فهو متباين.

**ومن ذلك:** أن الإنسان حي، والله ﷻ حي، وفرق بين حياة الخالق وحياة المخلوق، فحياة المخلوق جاءت بعد عدم، وهي إلىٰ عدم، وكانت بسبب الغير، وهي مُنَغَّصَةٌ معرضةٌ للمرض والتعب والحزن والهم والكدر والفقر وغير ذلك من العوارض، وتذهب من الإنسان في نومه، ثم تعود إليه بغير إرادته. وأما حياة الله تبارك وتعالى، فهي حياة أزلية أبدية، لا نقص فيها.

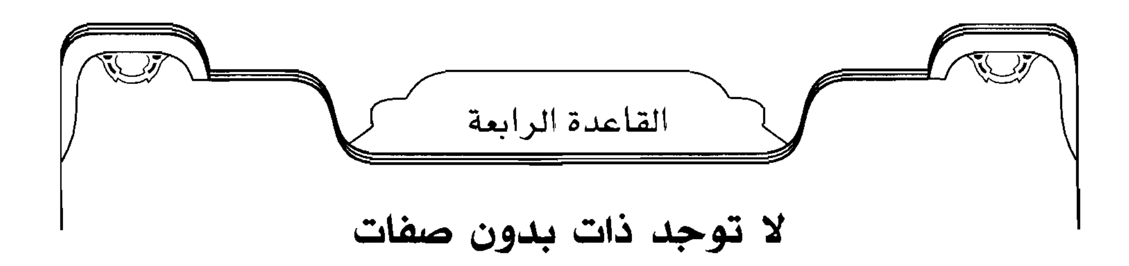
فكون الإنسان حياً وكون الله ﷻ حياً لا يلزم منه أن تكون حياة الخالق؛ كحياة المخلوق.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء[1]، فالله ﷻ لما ذكر أن في الجنة حدائق، وأعناباً، وأنهاراً من لبن، وأنهاراً من ماء، وأنهاراً من عسل، وأنهاراً من خمر، وغير ذلك من النعيم الذي ذكر الله في الجنة نجد أسماء كثير منه موجودة في الدنيا، فعندنا في الدنيا الخمر، واللبن، والعسل، والحدائق، والأعناب، وغير ذلك مما ذكر في الجنة، فاشتركا في الاسم، واختلفا في المسمىٰ، فالعسل غير العسل، والخمر غير الخمر، والماء غير الماء، مع أنها مخلوقات اشتركت في الاسم نفسه، ولكن الاشتراك في الاسم لا يلزم منه الاشتراك في المسمىٰ، وهٰذا بين مخلوق ومخلوق، فكيف بين المخلوق والخالق تبارك وتعالى؟

قال ابن قتيبة رحمه الله: «ولا يقال للمخلوق: «هٰذا الرب» معرفاً بالألف واللام كما يقال لله، إنما يقال: رب كذا، فيعرف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل «الرب» دلت الألف واللام علىٰ معنىٰ العموم»؛ أي: رب كل شيء، فاسم الرب مختص بالله ﷻ.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١/ ٣٢٩).




# لا توجد ذات بدون صفات

أي لا يمكن أن تكون ذات إلا ولها صفات تختص بها، فالساعة ذات ملموسة لها صفات في حجمها ولونها وشكلها وغير ذلك، والجدار ذات له صفات، والكرسي ذات له صفات، والإنسان ذات له صفات، والله ﷻ ذات له صفات سواء عرفها الإنسان وأدركها أو لا، ولكن هٰذا لا ينفي عنها الصفات، إذ لا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الصفات.

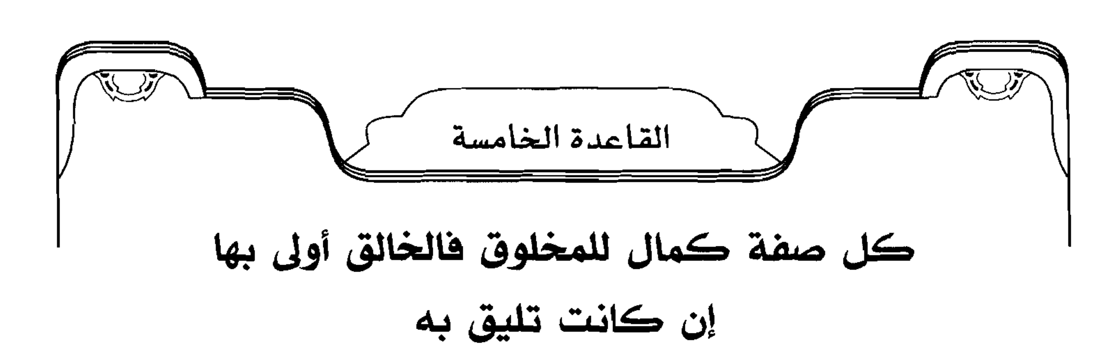
قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «ما من موجود إلا وهو متصف بصفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، فإذا انتفت صفة الكمال عنها لزم اتصافها بصفات النقص»[1].

وقال رحمه الله: «إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوقات صفات كمال وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولىٰ به»[2].

وستأتي قاعدة «**الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات**»[3]، وهي متعلقة بهٰذه القاعدة، ولكن المهم أن نعرف أنه لا توجد ذات إلا ولها صفات، فإذا كان كذلك فالله ﷻ له صفات طالما أنه حي موجود.

❊ ❊ ❊

(١) «تقريب التدمرية»، ص٥٢.
(٢) «القواعد المثلىٰ»، ص١٨.
(٣) القاعدة الثامنة ص٤٤.




# كل صفة كمال للمخلوق فالخالق أولى بها إن كانت تليق به

وذلك أن الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان، فلا يمكن أن يعطيه شيئاً من الكمال وهو يفقده، ففاقد الشيء لا يعطيه، فإذا أعطاك شيئاً فهو يملكه ﷻ، ولذٰلك قال أهل العلم: كل كمال للمخلوق فالخالق أولىٰ به.

فمن كمال المخلوق العلم، وعكسه الجهل وهو نقص، وكذا القدرة فهي كمال، وعكسها العجز وهو نقص، والسمع كمال، وعكسه الصمم وهو نقص، والكلام كمال، وعكسه البكم وهو نقص، والبصر كمال، وعكسه العمىٰ وهو نقص، والعزة كمال، وعكسها الذلة وهي نقص، وهكذا، فكل كمال في المخلوق فالخالق أولىٰ به.

وهٰذه القاعدة لا بد من تقييدها بقيد مهم؛ لأن الكمال الذي يتصف به المخلوق قد يتضمن نقصاً في حق الخالق، فمثلاً الزوجة في حق المخلوق كمال، والنقص في عدم الزواج، ولذٰلك جاء في الحديث: «**تزوجوا الودود الولود**»[1]، وأمر النبي ﷺ معاشر الشباب أن يتزوجوا، فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوج**»[2] فالزواج في حق العبد كمال، وعدمه نقص، ولكنه في حق الله نقص، فالله ليس محتاجاً إلىٰ زوجة قال تعالى منزهاً نفسه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

مثال آخر: الولد في حق العبد كمال، وعكسه نقص، ولذٰلك تجد

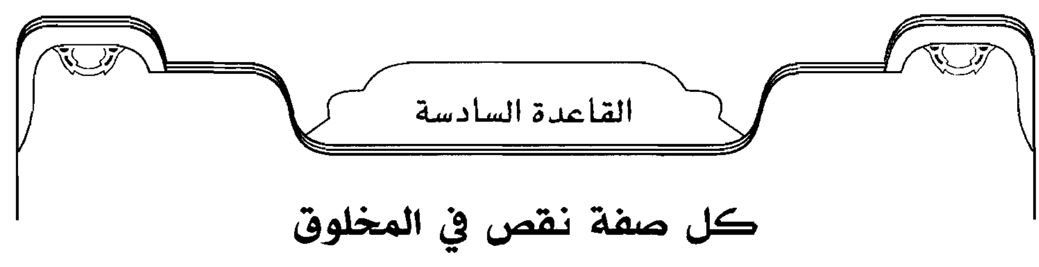
(١) أخرجه أحمد (١٢٦١٣)، وأبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، من حديث معقل بن يسار ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٨)، ومسلم (١٤٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

الإنسان الذي لم يرزقه الله بولد ينظر إليه الناس نظرة إشفاق، ويتحرجون أحياناً أن يهنؤوا شخصاً رزق بولد أمامه حتىٰ لا يوقعوه في الحزن، وقد يبذل لإنسان رجلاً كان وامرأة الأموال الطائلة لأجل أن يعالج زوجته أو يعالج نفسه ليرزق بالولد؛ لأنه يرىٰ أن عدم وجود الولد نقص، ولكن الولد بالنسبة لله نقص، وعدمه هو الكمال، ولذٰلك قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]، وقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨].

**ومثل ذلك:** الأكل والنوم، فهو كمال في حق المخلوق، والإنسان الذي لا ينام أو لا يأكل يوصف بالمرض ويحتاج إلىٰ الدواء، والله ﷻ غني عن ذلك كله، فلا يحتاج إلىٰ أكل أو نوم؛ لكماله واستغنائه.

❊ ❊ ❊




## كل صفة نقص في المخلوق
## فالخالق أولى بالتنزه عنها إن كانت لا تليق به

وهٰذه القاعدة تقابل القاعدة التي قبلها، فكل صفة نقص بالنسبة للمخلوق كالجهل، والعجز، والكسل، والجبن، والبخل، والكذب، والظلم، فالله أولىٰ بالتنزه عنها، فطالما أنها نقص في المخلوق فالخالق منزه عنها، فالعبد لا يرضىٰ أن تُنسب إليه هٰذه الصفات، فالله لا تُنسب له، فهو أولىٰ بالتنزه عن هٰذا النقص ﷻ.

وهٰذه القاعدة مقيدة كذلك بقيد، وهو «إن كانت لا تليق به».

**مثال ذلك**: الكبر فهو في المخلوق نقص، كما قال الأحنف بن قيس رحمه الله: **«ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه»**[1]، والكبر في حد ذاته ليس نقصاً، ولكن الذي يتكبر من كان أهلاً لذٰلك، ومن ذا الذي يكون أهلاً لذٰلك؟!

وقد ذم الله تعالىٰ المتكبرين فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

قال النبي ﷺ: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلىٰ سجن في جهنم يسمىٰ بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، ويسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال»**[2]؛ لأن هٰذا نقص في حق المخلوق، وليس من حقه.

---

(١) «سراج الملوك» للطرطوشي، ص٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقد قال القائل: الإنسان يتكبر وتقتله شرقة، وتؤذيه بقة.

وذكروا أن جعفر بن محمد الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ دخل علىٰ أبي جعفر المنصور، وقدّر الله أن جاءتْ ذبابة فآذتِ الخليفة، وصارت تقع علىٰ وجهه، فيقول بها هكذا فتنصرف وتعود، وتنصرف ثم تعود، حتىٰ تأذىٰ منها، فالتفت إلىٰ جعفر وقال: لماذا خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة[1].

فالذبابة لا يستطيع أن يصنع معها شيئاً، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

ويذكر أن المهلب بن أبي صفرة القائد الذي أدّب الخوارج والكفار، ووصل إلىٰ الصين، ودفع ملك الصين الجزية للمسلمين عن طريقه، وكان من الشجعان المعروفين، فذكروا أنه خرج يوماً ومعه بعض جيشه، فكان يمشي بين الناس متبختراً، فلقيه مالك بن دينار، فقال له: يا هذا، إن هٰذه مشية يبغضها الله. فغضب المهلب، وظن أن مالك بن دينار لا يعرفه ولذٰلك قال له مثل هٰذا الكلام، فقال له: ويحك أما تعرفني؟! فقال مالك: بلىٰ، أعرفك حق المعرفة، ألست أنت الذي أولك نطفةٌ مذِرَة، وآخرك جيفةٌ قذِرَة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة؟!

وذلك أن أول الإنسان نطفة من مني يُمنىٰ، وآخره جيفة قذرة إن لم يدفن، يتأذىٰ الناس من رائحته، وهو يحمل في جسده العذرة.

فقال: أهٰذا أنت؟ فخفض المهلب رأسه وقال: والله لقد عرفتني حق المعرفة[2]. فعلىٰ ماذا يتكبر الإنسان؟

**أما الله** عَزَّ وَجَلَّ فله أن يتكبر، ولذٰلك قال في الحديث القدسي:

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (٥/ ٩٢)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦/ ٢٦٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٣)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ٤٤٤). ورُويت أيضاً عن مُطَرِّف بن الشِّخير. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٨٤).

«**الكبرياء ردائي**»[١]، وتسمىٰ بالمتكبر، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

**مثال آخر**: المنُّ بالعطاء، وهو نقص في حق المخلوق، بل قد نهانا الله تعالىٰ عن ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

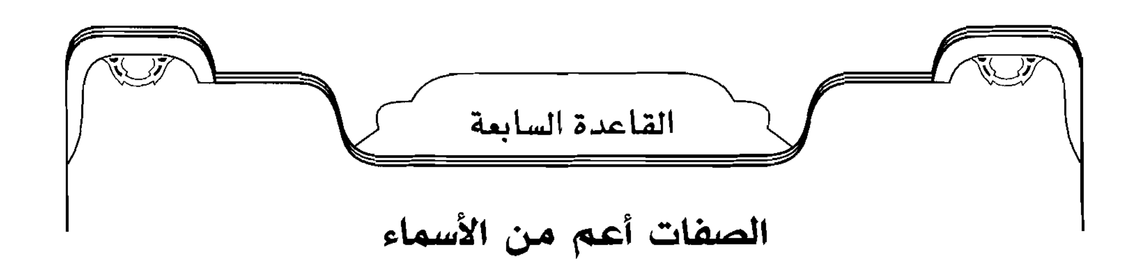
وقال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة منان**»[٢].

وأما بالنسبة لله ﷻ فهو كمال، كما قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، فالله يَمُنُّ؛ لأن عطاياه حقٌّ، وإذا أعطىٰ فمن ملكه، وأما الإنسان إذا أعطىٰ فليس من ملكه، وإنما من ملك الله، فالله له الحق أن يَمُنَّ، وأما العبد فليس له الحق في ذلك، ولذلك كان في حق المخلوق نقص، وفي حق الخالق كمالاً.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٨٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٣٧)، والنسائي (٥٦٧٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.




# الصفات أعم من الأسماء

ومعنىٰ هٰذه القاعدة أن كل اسم من أسماء الله ﷻ يتضمن صفة، وليس العكس، وهٰذا خاص بالله، ورسوله، وكتابه؛ وذلك أن أسماء الله تعالىٰ لها صفات، فليست لله أسماء مجردة، وأما الخلق فلهم أسماء مجردة.

وكذلك النبي ﷺ ليست له أسماء مجردة، وإنما أسماء لها صفات، وكذا القرآن.

فمن الناس من اسمه «خالد» وليس خالداً، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فليس بالضرورة أن يكون الاسم دالاً علىٰ الصفة. ومن الناس من اسمه «عادل» وليس بعادل، ومن الناس من اسمه «صالح» وليس بصالح، ومن النساء من اسمها «هدىٰ» وليست علىٰ هدىٰ، ومن النساء من اسمها «أبرار» وهي ليست كذلك.

فالقصد أن أسماءنا قد تدل علىٰ الصفة وقد لا تدل، فقد يكون اسمه عادلاً وهو عادل، وقد يكون اسمه صالحاً وهو صالح، ولكن ليس بالضرورة، فقد يخالف الاسم الصفة. بل أحيانا الرجل اسمه «ضرار» وهو طيب هيّن ليّن، أو رجل اسمه «مانع» وهو من أكرم خلق الله.

**وأما أسماء الله** ﷻ؛ فإنها تدل علىٰ صفاته، فاسمه «العزيز» وهو عزيز، واسمه «الكريم» وهو كريم، واسمه «الرحمٰن» وهو رحمٰن، واسمه «الكبير» وهو كبير، واسمه «التواب» وهو تواب، وهكذا جميع أسماء الله ﷻ تتضمن صفات الكمال المطلق له، فلا توجد لله أسماء مجردة.

وأسماء الله مشتقة من الصفات[1]، فاشتق اسم «الرحمٰن» من الرحمة،

---

(١) وقيل العكس، فالصفات تشتق من الأسماء.

واشتق اسم «العزيز» من العزة، وهكذا في سائر الأسماء، فأسماء الله تعالىٰ كلها لها صفات.

ولكن لا يشتق من صفاته أسماء، فالله تعالىٰ يغضب علىٰ الكفار، كما قال ﷻ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٦]، فلا نقول: من أسماء الله «الغاضب» أو «الغضوب»، مع أنه وصف نفسه بذلك.

وأخبر الله تعالىٰ عن نفسه أنه يحب المؤمنين، فقال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] فلا نقول: من أسماء الله تعالىٰ «المحب»؛ لأن هٰذه صفات.

فثبوت الاسم يستلزم ثبوت الصفة لا العكس، فهناك صفات ثابتة لله لا يشتق منها أسماء؛ كالضحك، والغضب، والانتقام، والكلام، والنزول، وغيرها، ولا يجوز أن نسمي الله تعالىٰ بها؛ لأنه لم يثبت ذلك عن الله تعالىٰ ولا عن رسوله ﷺ.

وأفعال الله أوسع من صفاته، فمن أفعاله سبحانه أنه ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فلا يجوز أن نسمي الله بـ«الفالق».

وأخبر عن نفسه أنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ١]، فلا يجوز أن نسميه «الفاطر».

وكذلك قال عن نفسه: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فلا يجوز أن نسميه «المخرج»؛ لأن هذه أفعالٌ لله ﷻ، وأفعاله أكثر من صفاته، وصفاته أكثر من أسمائه.

**قال أهل العلم**: وأسماء الرسول ﷺ كلها لها صفات، فمن أسمائه: «محمد» وهو محمد؛ أي: المحمود، واسمه «الحاشر، والعاقب» وهو كذلك، و«المُقفي، والمُفرق» وهكذا، فهٰذه الأسماء تدل علىٰ صفات فيه ﷺ.

ولهذا ليس من أسماء النبي ﷺ «يس» ولا «طه»؛ لأنه ليس لها معنىٰ، وأسماء النبي ﷺ لها معانٍ وصفات. فـ«يس» و«طه» لا معنىٰ لهما، فلا يمكن أن يكونا اسمين للنبي ﷺ. فـ«طه» و«يس» مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿الٓمٓ﴾،

و﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿قٓ﴾، و﴿صٓ﴾، و﴿نٓ﴾، فهي أحرف هجائية افتتحت بها بعض سور القرآن، وليست هي أسماء للنبي ﷺ، وإلا قيل: من أسماء النبي ﷺ ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وغير ذلك، وليس الأمر كذلك.

وبعضهم قال: معنىٰ «يس» يا رجل، وهذا ليس مدحاً ولا صفة.

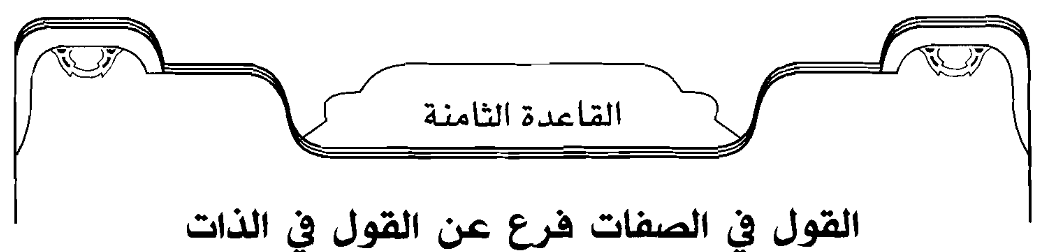
وبعضهم قال: «طه»؛ أي: طأ الأرض، وهٰذه ليست صفة أيضاً.

ولو كانت «طه» بمعنىٰ طأ الأرض لكتبت «طاها»، وكذا «ياسين» كما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ [الصافات: ١٣٠].

ولذا لو قرأت: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [يس: ١، ٢]، ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾ [طه: ١، ٢]، فهي مثل قول الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١، ٢]، ومثل: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: ١]، ومثل: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [لقمان: ١، ٢]، فهٰذه كلها أحرف هجائية يذكرها الله تعالىٰ في مقدمات بعض السور للتحدي والإعجاز، يقول للعباد: هٰذا القرآن الذي أتحداكم أن تأتوا بمثله مكون من هٰذه الأحرف التي تتكلمون بها ﴿الٓمٓصٓ ١﴾، ﴿الٓمٓرۚ﴾، ﴿الٓرۚ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾، وهكذا.

وليس معنىٰ هٰذا أن من كان اسمه «يس»، أو «طه» فإنه يغير اسمه، ولكن لا يعتقد أنها من أسماء النبي ﷺ.

وكذا الأمر بالنسبة للقرآن، فاسمه «القرآن» وهو مقروء، واسمه «النور» وهو نور، وسماه «المبين» وهو مبين، وسماه «الفرقان» وهو كذلك، وسماه «الهدىٰ» وهو كذلك، فأسماء القرآن كلها صفات لهٰذا الكتاب العظيم.


القاعدة الثامنة

## القول في الصفات فرع عن القول في الذات والفرق بين الصفة والصفة كالفرق بين الذات والذات

هٰذه القاعدة لها ارتباط بالقاعدة الرابعة «لا توجد ذات إلا ولها صفات»، وقال أهل العلم هٰذا الكلام رداً علىٰ المعتزلة، فالمعتزلة أثبتوا ذاتاً مجردة بدون صفات، وذلك أنهم قالوا: «إذا عددنا الصفات؛ عددنا الذوات»، فإذا قالوا: الله عزيز، وحكيم، ومحيي، وسميع، وبصير، وكبير، وعظيم، ومجيد، فهم يقولون: كثرتم الآلهة، وهو إلٰه واحد. قلنا: وهٰذه الصفات التي وصف الله بها نفسه؟ قالوا: هٰذه كلها أسماء مجردة للذات، ولا تدل علىٰ صفات.

فنفوا الصفات خوفاً من تعدد الذوات؛ لأنهم قالوا: كل صفة معناها ذات منفصلة. قلنا لهم: أنتم أثبتّم أن لله ذاتاً؟ قالوا: نعم. قلنا: والإنسان له ذات؟ قالوا: نعم. فنقول: هٰذا الإنسان هو واحد، وهو سميع، وهو بصير، وهو قادر، وهو متكلم، وله صفات أخرىٰ، وهو واحد لم يتعدد.

فإذا كان هٰذا المخلوق يمكن أن تجتمع فيه عدة صفات وهو واحد، فما المانع من أن يكون الأمر كذلك لله تعالىٰ وهو الخالق الذي أعطاه هٰذه الصفات تبارك وتعالى.

ثم المعتزلة لما نفوا الصفات[1]؛ قال لهم أهل السُّنَّة: لماذا نفيتم الصفات؟

(١) وهٰؤلاء المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكُلابية ونحوهم في الأصل، مسلمون؛ لأنهم أرادوا تنزيه الله، وقصدوا الخير، لذلك لم يكفرهم أهل العلم مع النص علىٰ أن هٰذا الفعل كفر؛ وذلك أنهم نظروا إلىٰ مقصدهم، فهم قصدوا تنزيه الله ولكنهم أخطؤوا، ويتفاوتون في أخطائهم. وبعض العلماء حكم بكفر المعتزلة. =

قالوا: كي لا يتعدد القدماء.

قلنا: المخلوق له صفات متعددة وذاته واحدة، فلماذا تقبلونه في المخلوق ولا تقبلونه في الخالق؟

قالوا: إن هٰذه الصفات إذا أثبتناها لله تعالىٰ؛ فإننا نشبهه بالمخلوق؛ فالمخلوق سميع بصير حكيم قدير وغير ذلك من الصفات، فإذا أثبتنا هٰذه الصفات للخالق؛ فهو تشبيه بالمخلوق، فصار سمعه كسمعه، وبصره كبصره، ويده كيده، ورجله كرجله، وهكذا.

قلنا لهم: هل تثبتون وجود الخالق أم لا؟ قالوا: نعم موجود.

قلنا لهم: المخلوق كذلك موجود، وهٰذا تشبيه للخالق بالمخلوق؛ لأن المخلوق موجود، والله موجود.

قالوا: وجود الله يليق به، ووجود المخلوق يليق به.

قلنا لهم: كذلك سمع الخالق وبصره يليقان به، فكما أن سمع المخلوق وبصره يليقان به، فكذلك سمع الله وبصره وسائر صفاته تليق به، فالقاعدة واحدة والمنهج واحد، فما يقال في الوجود والذات؛ يقال في صفات الله ﷻ.

فالفرق والاختلاف بين صفات الله تعالىٰ وصفات المخلوقين كالاختلاف والفرق بين ذات الله تعالى وذوات المخلوقين، فكما أن ذات الله ﷻ لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته تليق به وليست كصفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهٰذه القاعدة ردٌّ خاص علىٰ المعتزلة، فلا يرد بهٰذه القاعدة علىٰ الأشاعرة، ولا علىٰ الماتريدية، ولا علىٰ الكلابية(١)؛ لأن هٰذه الفِرَق تثبت بعض الصفات.

---

= ومع هٰذا؛ فإنه يجب الإنكار عليهم، والتحذير من بدعتهم، وبيان الحق في هٰذا.
ومن أسباب انحرافهم: الجهل، المؤثرات الخارجية، سوء الفهم للنصوص، أثر الشيخ علىٰ التلميذ.

(١) سيأتي التعريف بهم في ص١٥٦.




## القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر

هٰذه القاعدة فيها رد علىٰ الماتريدية والكلابية والأشاعرة، وهٰؤلاء أحسن حالاً من المعتزلة؛ بسبب شبهة الخوف من الوقوع في التشبيه، فأثبتوا لله صفات ونفوا عنه صفات ﷻ، وعندما سئلوا عن الذي أثبتوه؛ قالوا: دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

قلنا: هناك صفات أخرىٰ دلّ عليها الكتاب والسُّنَّة، فلم تثبتوها، فلماذا أثبتم بعضاً ونفيتم بعضاً؟ ما الضابط عندكم؟ لماذا لم يكن قول الكتاب والسُّنَّة مطرداً عندكم؟

قالوا: إن هٰذه الصفات أثبتها الكتاب والسُّنَّة ويدركها العقل، بينما الصفات الأخرىٰ جاءت في القرآن والسُّنَّة ولكن لا بد من تأويلها؛ لأن العقل والنظر لا يقبلها.

قلنا: ماذا قبل العقل عندكم؟

قالوا: العقل قَبِل سبع صفات، وهي مجموعة في بيت، فقالوا:

**حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ والْكَلامُ لَهُ وَكَذَاكَ إِرَادَةٌ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَر**

قلنا: لماذا لا تثبتون الرحمة، والمحبة، والغضب، والسخط، وكل هٰذه جاءت في الكتاب والسُّنَّة.

قالوا: العقل لا يثبتها.

قلنا: هل تتفقون معنا علىٰ أن العقول متفاوتة؟ فقد يقبل عقل شيئاً ولا يقبله الآخر، فلماذا حكمتم الناس إلىٰ العقل؟

والمعتزلة لما نفوا جميع الصفات قالوا: العقل لا يقبلها!! فهل يقال: عقل الأشعري ـ مثلاً ـ متميز عن باقي العقول؟

وهناك من الأشاعرة مَنْ أثبت غير هٰذه الصفات، وقال: إن عقلي يقبلها، فلماذا قبلت هٰذه، ولم تقبل تلك؟ لماذا لا تكون عندك قاعدة مضطردة؟ **لأن العقول متفاوتة.**

قالوا: هل تتصورون أن الله الذي أوجد الخلق أن يكون غير حي؟

قلنا: نثبت لله الحياة.

قالوا: هل يمكن أن يوجد هٰذا الخلق العظيم بلا علم؟

قلنا: يدل علىٰ العلم.

قالوا: هل أوجد هٰذا الخلق بقدرة أم بغير قدرة؟

قلنا: أوجده بقدرة.

قالوا: هل أوجد هٰذا الخلق بدون إرادة؟

قلنا: لا، لا بد من إرادة.

قالوا: المخلوق الضعيف نثبت له السمع والبصر والكلام، ولا نثبته لله؟ وقد أثبت هٰذا في كتابه.

نقول: بلىٰ نثبته لله.

قالوا: إذا العقل يثبت هٰذه الصفات لله.

قلنا: لا ننكر إثبات العقل لها، ولكن العقل كذلك يثبت أن الله يحِب، ويُحَب.

قالوا: الحب يدل علىٰ الضعف، ولذٰلك تجد الحبيب عند حبيبه ضعيفاً، وأحياناً يتنازل عن كثير من الأمور.

قلنا: هٰذا حب المخلوق، أما حب الله ﷻ فيختلف.

قالوا: ما نفهم في الحب إلا هذا.

قلنا: إذا الإرادة كذلك، هي إما لجلب خير أو دفع شر، فمن يستطيع أن يوصل الشر لله حتىٰ يدفعه عن نفسه؟ أو ما الخير الذي يجلبه لنفسه؟

قالوا: إرادة الله تليق به.

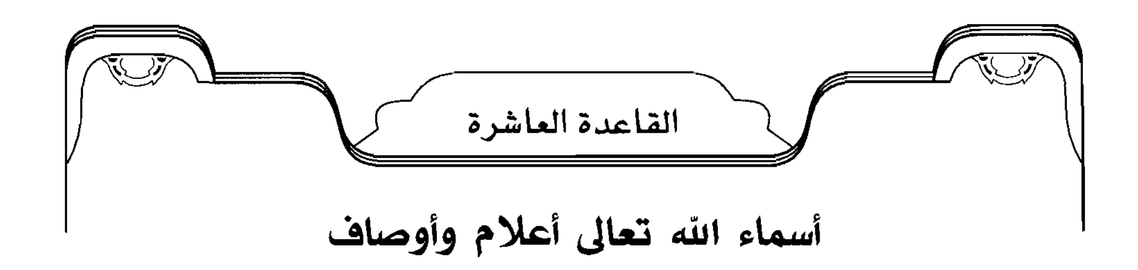
قلنا: أيضاً وحب الله يليق به، ورحمة الله تليق به، وعفو الله يليق به، وهكذا سائر الصفات نثبتها له علىٰ ما يليق به.

ولذٰلك تجد أن هـٰؤلاء - الكلابية والأشاعرة والماتريدية - اختلفوا في هذا، فبعضهم توقف عند سبع صفات، وبعضهم زاد عليها بحجة أن العقل يقبل، فكلما قبل العقل شيئاً أضاف صفة.

فنحن نقول لهم: **القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر**، فالذي يقال في السمع والبصر؛ يقال: في الحب والغضب وسائر الصفات، وكلها تليق بالله وأثبتها القرآن والسُّنَّة، ولها معنىٰ صحيح، فلا فرق بين الصفات، فكما أثبتم لله صفاتٍ تليق به ولا تشبه صفات المخلوقين؛ فكذلك أثبتوا له سبحانه باقي الصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، وهو أعلم بنفسه منكم سبحانه وتعالىٰ، وكذلك رسوله ﷺ.

ويدخل في هـٰذا الصفات الذاتية «الخبرية» كصفة الوجه، والعين، واليدين، والأصابع، وغير ذلك من الصفات.






## أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أسماءه عَزَّ وَجَلَّ الحسنىٰ هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى»(١).

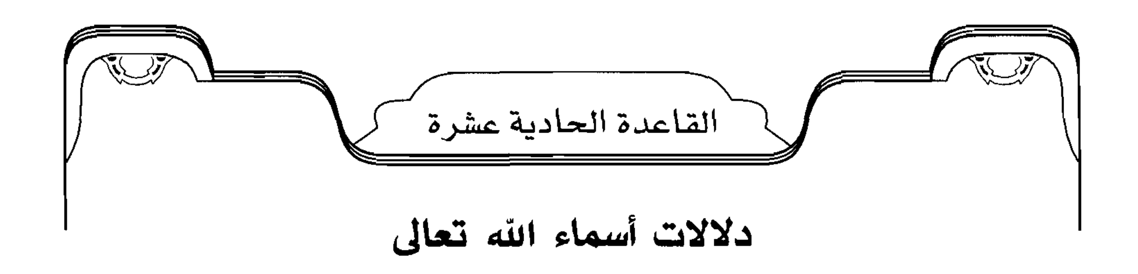
**ومعنىٰ هٰذه القاعدة:** أي: أن أسماء الله تعالىٰ أعلام علىٰ ذات الله تعالىٰ، فعندما نقول: «العزيز» فنريد به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالعزيز علم علىٰ الله، ونثبت له صفة العزة، فليس اسماً مجرداً.

**ومثال ذلك:** لو ناديت شخصاً باسمه، أو كنيته، أو لقبه، أو نَسَبْته إلىٰ أبيه دون اسمه، فكلها أعلام لوصف واحد، وكان الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكثر من هٰذا في شيوخه.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فإذا قلت: يا رحمٰن فهو الله، يا عزيز فهو الله، وهكذا، فأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعلام فهي مترادفة؛ لدلالتها علىٰ ذات الله، وأوصاف لدلالتها علىٰ معاني متعددة مختلفة، فكل اسم منها يدل علىٰ معنىٰ خاص مشتق منه، وأسماء الله تعالىٰ كاملة في علميتها ووصفيتها.

❊ ❊ ❊

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).




## دلالات أسماء الله تعالى

وهي ثلاث دلالات:

**الأولىٰ: المطابقة**، وهي دلالة اللفظ علىٰ جميع مدلوله، فكل اسم يدل علىٰ المسمىٰ وهو الله، وعلىٰ الصفة المشتق منها هذا الاسم.

**ومثال ذلك**: «الرحمٰن»، فإنه يدل علىٰ ذات الله تعالىٰ وعلىٰ صفة الرحمة، فطابق الاسمُ الصفةَ تماماً، واللفظ دل علىٰ جميع مدلوله، فكانت دلالته دلالة مطابقة.

**الثانية: التضمن**، وهي دلالة اللفظ علىٰ بعض مدلوله، فدلالة الاسم علىٰ الذات وحدها أو علىٰ الصفة وحدها من دلالة التضمن.

**مثال ذلك**: «الرحمٰن» فمن جهة دلالته علىٰ ذات الله ﷻ وحدها، وعلىٰ الرحمة وحدها، فقد دلَّ علىٰ بعض معناه، لذا كانت الدلالة هنا دلالة تضمن.

**الثالثة: الالتزام**، وهي دلالته علىٰ شيء يُفهم لا من لفظ الاسم، ولكن من لازمه[1].

**مثال ذلك**: «الخالق»، فيلزم من هذا العلم والقدرة، إذ لا يمكن أن يخلق هـٰذا الخلق إلا وعنده العلم والقدرة، فلزمت هـٰذه الصفة صفاتٍ أخرىٰ.

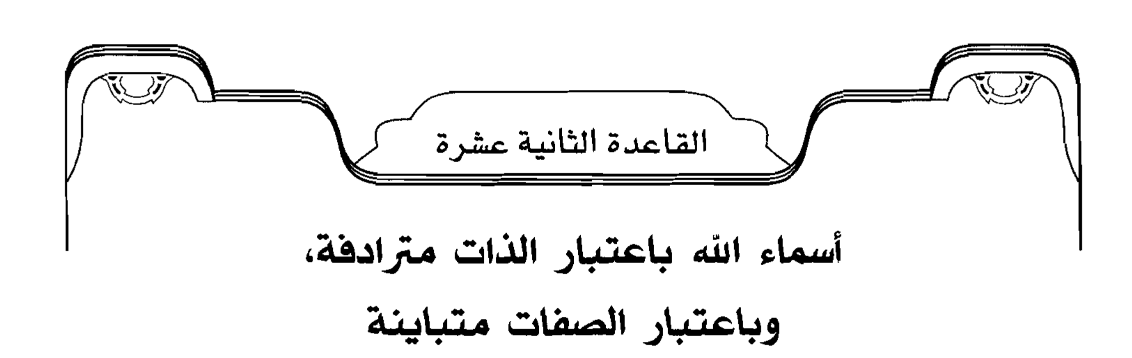
**مثال آخر**: عندما نقول «البيت» فهو عبارة عن حجر، وصالات، ومرافق، ومطبخ، وسطح، فهـٰذه الأوصاف **طابقت** اسم «البيت» كاملاً.

وعندما نذكر حجرة واحدة؛ فإنها من ضمن البيت.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ ابن عثيمين (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).

وعندما نذكر «البيت»؛ فإنه **يلزم** من وجوده وجودُ من بنىٰ هـٰذا «البيت»، ومن صبغه أو رسم مخططه.

فـ«البيت» بكل ما فيه **مطابقة**، وبإحدىٰ حجره **تضمن**، وبمن بناه **التزام**.




## أسماء الله باعتبار الذات مترادفة، وباعتبار الصفات متباينة

معنىٰ هٰذه القاعدة أن أسماء الله ﷻ تدل علىٰ ذات واحدة، فهي مترادفة من هٰذا الجانب، فعندما نقول: «الحي، العظيم، المجيد، الرحمٰن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، الوهاب»، فهٰذه أسماء لله تعالىٰ، فكلها تدل علىٰ الله ﷻ، ولا تدل علىٰ تعدد الآلهة.

وأما الأسماء باعتبار الصفات فهي مختلفة في معانيها، فكل صفة لها معنىٰ خاص بها، فصفة الرحمٰن غير صفة العزيز، وصفة العزيز غير صفة الوهاب، صفة الوهاب غير صفة العفو، صفة العفو غير صفة الكبير، والكبير غير صفة الودود، وهكذا.

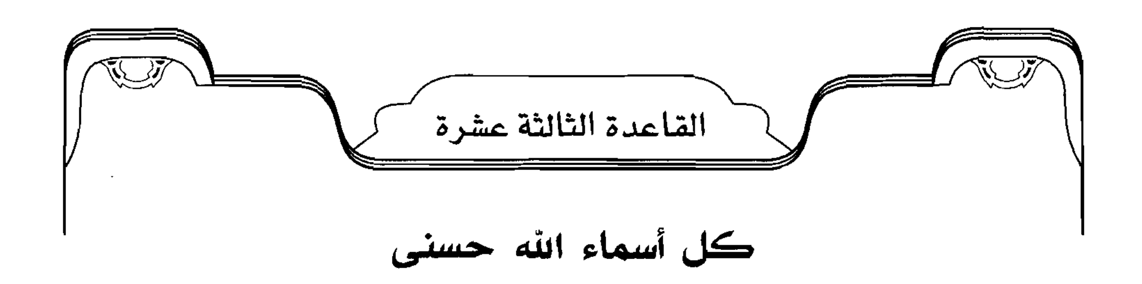
إذاً إذا نظرنا إلىٰ أسماء الله تعالىٰ من حيث كونها أسماء فهي مترادفة؛ لأنها تدل علىٰ واحد، وأما من حيث المعاني فهي مختلفة متباينة.

وقد تقدم في القاعدة العاشرة أن أسماء الله تعالىٰ أعلام من حيث دلالتها علىٰ ذات الله، وهي بهذا الاعتبار مترادفة؛ لأن جميعها يدل علىٰ مسمىٰ واحد، ومن حيث دلالتها علىٰ المعاني المشتقة منها فهي متباينة؛ فالسمع والرزق والحياة والقوة والخلق والعزة وباقي الصفات كلها معانٍ متباينة.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن أسماءه الحسنىٰ لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة»[١].

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).




# كل أسماء الله حسنى

عند البشر هناك أسماء حسنة وأسماء غير حسنة، وإذا كان الاسم غير حسن فإنه يُغيَّر، وكان النبي ﷺ يغير أسماء بعض الصحابة رضي الله عنهم؛ كعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، فكان اسمه عبد الكعبة[1]، فغيره النبي ﷺ.

وجد سعيد بن المسيب رحمه الله اسمه حَزَن[2]، ولما أسلم حزن؛ قدم علىٰ النبي ﷺ فقال: «**ما اسمك؟**». قال: اسمي حَزن. قال: «**بل أنت سهل**». فغير النبي ﷺ اسمه، ولكنه قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي[3].

وجاء عن عمر رضي الله عنه لما سأله الرجل: أليس للولد حقوق علىٰ أبيه؟ قال: بلى، وذكر منها أن يحسن اختيار اسمه.

**فالمقصود** أن أسماء الله ليس فيها أسماء سيئة، فكل أسماء الله حَسَنةٌ، بل هي غاية في الحُسن، ولذٰلك نقول: له الأسماء الحسنىٰ، فننزه الله تبارك وتعالى عن الأسماء التي لا تليق به، مثل: «الضار، المانع»، فهٰذه ليست بأسماء الله تعالىٰ؛ لأنها غير حسنة.

وأما وصفه بالنافع الضار، أو المعطي المانع؛ فهٰذا حق، فالله بيده النفع والضر، والعطاء والمنع.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٢٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٦)، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٢٣٥)، والنووي في «تهذيب الأسماء» (١/ ٤١٥)، وابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٠٥).

(٢) **الحَزَن**: هو الطريق الوعر الضيق.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٤٠)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

وقد وصف الله ﷻ أسماءه بالحُسْنِ في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفي قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وذلك أن جميع أسمائه ﷻ قابلة للاشتقاق وليست جامدة، فالأسماء إما مشتقة وهي التي تشتق من الصفات، وإما جامدة لا تشتق من صفات وهي تقابل الاسم الحسن، وأسماؤه ﷻ متضمنة للصفات الكاملة، ولذلك هي بالغة في الحسن، وليس من أسمائه اسمٌ جامد.

ولهذا قال أهل العلم: إن «الدهر» ليس من أسماء الله الحسنى؛ لأنه اسم غير حسن، وإنما هو اسم جامد لا يتضمن أي صفة، وأما معنىٰ قول النبي ﷺ: «**قال الله ﷻ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر**»، فقد جاء تفسيره في الحديث نفسه: «**بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[1].

**فإن قال قائل**: فما وجه إيذاء ابن آدم لله تعالىٰ بسبه الدهر؟

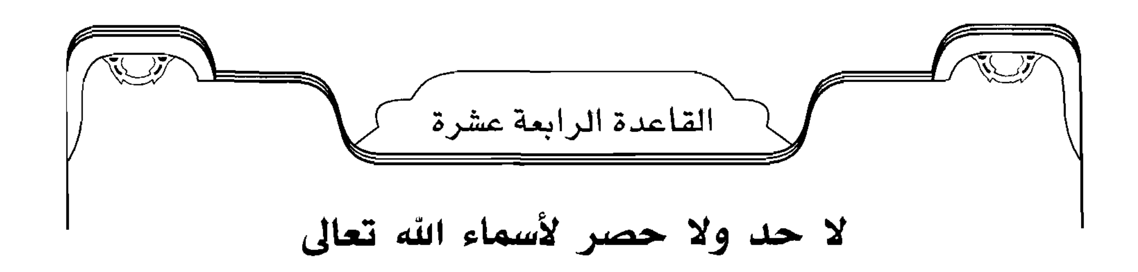
**فالجواب**: أن إيذاء الله ﷻ بسبِّ ابن آدم للدهر يدل علىٰ عدم رضا ابن آدم بقضاء الله وقدره، وعلىٰ اعتراضه علىٰ أفعال الله تعالى؛ فما قدَّره الله هو فعله ﷻ. وكذلك يدل علىٰ الشرك به ﷻ؛ فإن البعض يسب الدهر اعتقاداً منه أن الدهر فاعل مع الله، ومن اعتقد أن غير الله يفعل مع الله فقد وقع في الشرك.

وسب الدهر عادة قديمة من عادات الجاهلية، قال الإمام النووي رحمه الله: «وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها؛ من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك، فيقولون: يا خيبة الدهر، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر، فقال النبي: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»؛ أي: لا تسبوا فاعل النوازل؛ فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو فاعلها ومنزلها. **وأما الدهر** الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٩)، ومسلم (٢٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ٣).




## لا حد ولا حصر لأسماء الله تعالى

قال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة**»(١).

**وفي هذا الحديث**: إثبات تسعة وتسعين اسماً لله تعالىٰ، وهٰذا لا يلزم منه عدم وجود غيرها من الأسماء، فله غيرها ولكن لا نعلمها، فعندما تقول: معي مئة دينار، فإنه لا يلزم منه عدم وجود غيرها معك.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتفق العلماء علىٰ أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة. فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء»(٢).

**والدليل علىٰ عدم الحصر**: قول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته من كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(٣) والذي استأثر به في علم الغيب عنده لا يمكن أن يطلع عليه أحد.

وقوله: «**أو علمته أحداً من خلقك**» فقد يكون علمه النبي ﷺ، وقد يكون علمه بعض الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

ويدل علىٰ هٰذا أيضاً حديثُ الشفاعة، وفيه قوله ﷺ: «**فأحمد الله بمحامد أعلمها، ثم يلهمني محامد لا أعلمها**»(٤)، وهٰذه المحامد هي الثناء

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٥)، ومسلم (٢٦٦٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٥).
(٣) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (٢٨٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

علىٰ الله، والثناء علىٰ الله يكون بأسمائه وصفاته، فيُطلع الله نبيه ﷺ في ذلك اليوم علىٰ أسماء لا يعلمها، فيعلمها في ذلك الوقت.

**المقصود** أن أسماء الله من حيث كونها لله فهي غير محصورة، ولكن من حيث معرفتنا بها محصورة؛ لأننا لا نعلم إلا ما علمنا الله عن طريق رسله عليهم السلام.

وقد قام بعض أهل العلم بمحاولة جمع هٰذه الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في الحديث، وقد جاء في حديث لا يصح حصر هٰذه الأسماء التسعة والتسعين، ولكن نص أهل العلم علىٰ أن هٰذا الحديث ضعيف لم يقله النبي ﷺ[1]، فالذي عدَّ هٰذه الأسماء أحد رواة الحديث، وهو إدراج منه.

وعلىٰ هٰذا فتح باب الاجتهاد للعلماء في محاولة حصر هٰذه الأسماء، فبعضهم اجتهد وبلغ التسعة والتسعين، وبعضهم اشتق من الصفات أسماء، فسمىٰ الله بأسماء لم يتسم بها وإنما وصف نفسه بها، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، فسمىٰ الله بالمنتقم، وهٰذا غير صحيح.

**وإحصاء أسماء الله تعالىٰ يتضمن ثلاثة أمور:**

**الأول: عدّها**، فيحفظها عداً.

**الثاني: فهم معانيها**، وما دلت عليه؛ لأن كل أسماء الله تدل علىٰ صفات ولها معانٍ.

---

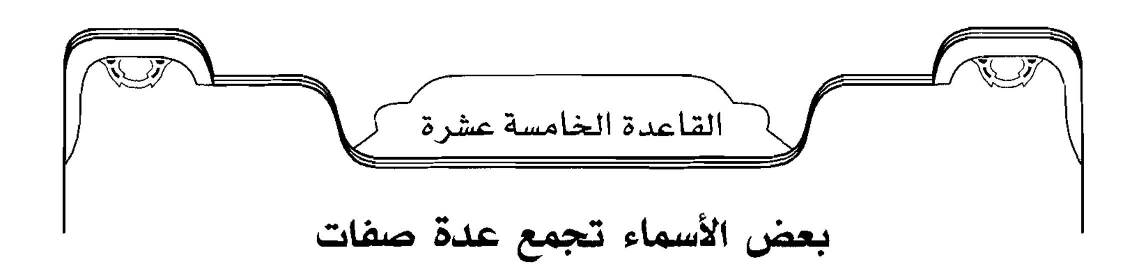
(١) الحديث أخرجه الترمذي (٣٧٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وهذه الزيادة معلولة وليست من كلام النبي ﷺ، ولا يصح رفعها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف». «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٧٩).
وقال الحافظ ابن حجر: «والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة». «بلوغ المرام» (١٣٦٨).
ولزيادة الفائدة انظر ما كتبه الشيخ الدكتور محمد الحمود حفظه الله في: «النهج الأسمىٰ» (١/ ٥٧ ـ ٦٢).

**الثالث: دعاؤه بها**، كأن تقول: «يا عزيز أعزني بالإسلام»، «يا وهاب هب لي من لدنك»، وهكذا، فتأتي بالاسم المناسب للدعاء الذي تريده. فمن جمع هٰذه الأمور الثلاثة؛ فهو الذي يصدق عليه الحديث.

**ولو قال قائل**: أنا لا أحفظ إلا عشرة أسماء؟

**قلنا**: افهم معانيها، وادعُ الله بها، فتكون قد أحصيت عشراً، وكلما ازددت من الأسماء كلما عظم الأجر، وهو كصاحب القرآن الذي يقال له: **«اقرأ وارتق، فمنزلتك عند آخر آية تقرؤها»**(١).

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.



القاعدة الخامسة عشرة

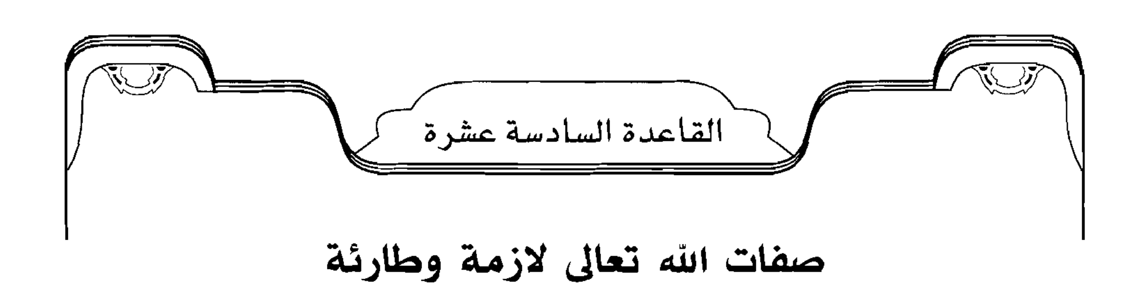
## بعض الأسماء تجمع عدة صفات

وهي الأسماء الجامعة التي تجمع عدة صفات لله تعالىٰ تحت اسم واحد، ومثال ذلك اسم «الصمد»، أو «المجيد»، أو «العظيم»، أو «الكبير»، أو «القدوس».

فعندما نقول: «الصمد»؛ فإنه يعني أنه الكامل في كل شيء: في سمعه، وبصره، وقدرته، وقوته، وعلمه، وإرادته، ومحبته. فـ«الصمد» اسم شامل جامع يجمع مجموعة من الصفات بل كل الصفات التي وصف الله بها نفسه فهو صمد بها.

وكذا «المجيد»، فهو مجيد في جميع صفاته.

و«العظيم» كذلك، فهو عظيم في جميع صفاته.




## صفات الله تعالى لازمة وطارئة

تنقسم صفات الله تعالىٰ إلىٰ قسمين:

### ❁ القسم الأول: صفات لازمة:

وهي التي لا تنفك عن الله ﷻ؛ كالعلم، والقدرة، والسمع، والحكمة، والعلو، وغيرها، فهي لازمة لله تعالىٰ، فلا يمكن أن تنتفي عنه في يوم من الأيام، فلا يقال: إن الله عليم في يوم، وغير عليم في يوم آخر، أو يقال: علم اليوم علماً لم يعلمه من قبل، فهٰذا لا يمكن في حق الله ﷻ؛ لأنها صفات لازمة لا تنفك عن الله بحال.

وكذلك هي لا تزيد ولا تنقص؛ لأنها بلغت الكمال التام، فلا يمكن أن يكون الله عليماً ثم يزداد علمه في يوم من الأيام؛ لأن معنىٰ هٰذا أن علمه كان أقل، وهٰذا غير جائز في حق الله، كما إنه لا يمكن أن يكون الله صار حكيماً أكثر من قبل؛ لأنه حكيم منذ الأزل وإلىٰ الأبد ﷻ، فلا تنقص حكمته ولا تزيد؛ لأنها في الكمال المطلق.

ومن هنا كفّر أهل العلم من قال بعقيدة البداء[1] لله تعالىٰ؛ لأن هٰذا ينافي كمال العلم، فهو يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون ﷻ.

---

(١) **البداء**: أن يعلم الله شيئاً لم يكن يعرفه من قبل، فيقال: بدا لله كذا وكذا بعد أن لم يكن علمه.

### ❁ القسم الثاني: صفات طارئة (الفعلية):

وهي الصفات التي يفعلها إذا شاء ﷻ، وتأتي إذا جاءت أسبابها، ولا تأتي إذا لم تأتِ أسبابها، فليست ملازمة للذات، وهو قادر علىٰ فعلها في كل وقت، إلا أنها متعلقة بإرادته ومشيئته؛ كالرضىٰ، والغضب، والمحبة، والاستواء، والنزول، والمجيء، فهٰذه صفات فعلية طارئة.

ومثال ذلك: «الغضب» فالله تعالىٰ لا يغضب دائماً، وإنما يغضب إذا انتهكت محارمه، ويشتد غضبه يوم القيامة كما في حديث الشفاعة: «**إن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»[١].

كما أنه يرضىٰ إذا تحقق سبب الرضىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فرضي الله تعالىٰ بعد أن بايع المؤمنون النبي ﷺ.

ومن ذلك الاستواء، فالله ﷻ استوىٰ علىٰ العرش بعد أن خلق السماوات والأرض ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وينزل ربنا ﷻ إذا جاء الثلث الأخير من الليل.

ويجيء لفصل القضاء إذا جاء يوم القيامة.

وهٰذه الصفات الطارئة تزيد وتنقص كما في صفة «الرضىٰ»، فالله يرضىٰ إذا فعل العبد الحسنة «**إن الله ليرضىٰ عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[٢] ولكن رضاه عمن يحمد علىٰ الأكلة ليس كرضاه عمن يبر والديه، وحتىٰ بر الوالدين الناس فيه متفاوتون، فكلما زاد البر؛ زاد الرضىٰ من الله ﷻ.

ومن ذلك أن الله تعالىٰ يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤)، من حديث أنس رضي الله عنه.

ولما أرسل النبي ﷺ جماعةً من أصحابه وأمّر عليهم رجلاً، فكان هٰذا الرجل في كل ركعة من الصلاة يقرأ سورة الإخلاص سواء قرأ سورة مع الفاتحة أو لم يقرأ، فلا بد أن يقرأ سورة الإخلاص في كل ركعة. فقال له أصحابه: إما أن تكتفي بها، وإما أن تقرأ غيرها. فقال: هو كذلك، لن أفعل إلا هذا، إن شئتم أممتكم، وإن شئتم أمَّكُم غيري. وكانوا يرون أنه خيرهم، فتركوه وكان يصلي بهم بهٰذه الطريقة. فلما رجعوا إلىٰ النبي ﷺ سأل عن أميرهم، فأثنوا عليه خيراً إلا شيئاً واحداً، فذكروه، فقال النبي ﷺ: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فأخبروا النبي ﷺ، فقال: «**أخبروه أن الله أحبه**»(١) فأحبه الله تعالىٰ بعد أن قال هٰذا الكلام.

قال النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً نادىٰ جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض**»(٢) فأحبه الله تعالىٰ بعد أن فعل أموراً يحبها الله تبارك وتعالىٰ.

ولما خرج رجل يزور أخاً له في الله؛ أرسل الله له علىٰ مدرجته ملكاً، فقال له: «**أين تريد؟**» قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: «**هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟**» قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال الملك: «**فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(٣)، فأحبه الله لهٰذا الفعل.

وأما الاستواء ففي الأصل هو صفة فعلية؛ لأن الله استوىٰ علىٰ العرش بعد أن خلقه؛ لأن العرش مخلوق، وفي يوم من الأيام لم يكن الله مستوياً علىٰ العرش، والآيات في هٰذا صريحة ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

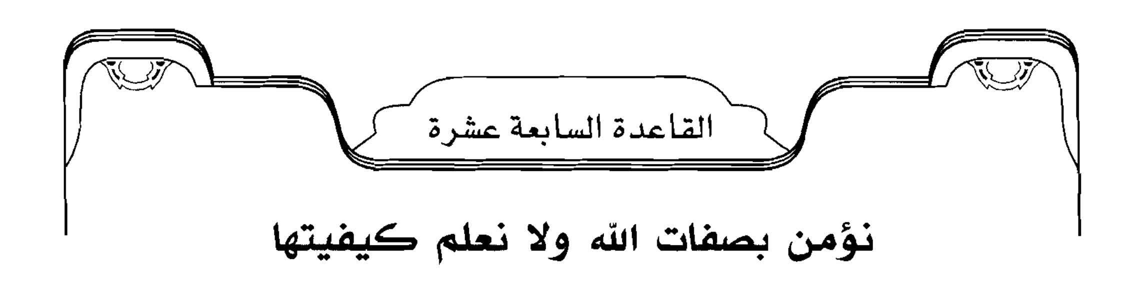
---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٠)، ومسلم (٨١٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٧)، ومسلم (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه علىٰ الماء**»[١] فالعرش كان موجوداً مخلوقاً، ولم يستو عليه الله تعالىٰ إلا بعد أن خلق السماوات والأرض.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.




# نؤمن بصفات الله ولا نعلم كيفيتها

من عقيدة أهل السُّنَّة أنهم يثبتون صفات الله تعالىٰ بدون تكييف، والمقصود أننا نجهل الكيفية ولا ننفيها عن الله تعالىٰ، فلا نقول: إن صفات الله بلا كيف، بل لا بد أن لها من كيفية، ولكننا نجهلها.

فالأصل عند أهل السُّنَّة أنهم وقّافون، ولا يقولون علىٰ الله بلا علم؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال عن الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فلا نتكلم بما لا علم لنا به.

فعندما نأتي إلىٰ صفات الله ﷻ فإننا نثبتها لله تعالىٰ، وننفي معرفتنا بالكيفية، ولا ننفي الكيفية.

**والكيفية**: هي بيان هيئة الشيء، وهي جواب لـ«كيف».

**قال أهل العلم**: إن كيفية صفة الشيء لا تعلم إلا بإحدىٰ ثلاث:

١. رؤيته.

٢. رؤية مثيله.

٣. إخبار الصادق.

فالله ﷻ له صفات، وللصفات كيفيات، ولكننا لم نرَ الله تعالىٰ حتىٰ نعرف كيفية صفاته، فهٰذه متعذرة.

وأما رؤية مثيله؛ فليس لله تعالىٰ مثيل، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فالله ليس له مثيل، وهٰذا الطريق كذلك متعذر.

ولم يبق إلا الطريق الثالث، وهو الوصف، أن يصفه الصادق، وإما أن يصفه الكاذب، والصادق الذي يصف الله هو الله ﷻ أو رسوله ﷺ، فلا سبيل إلىٰ معرفة صفات الله تعالىٰ إلا بهذين الطريقين، فالله تعالىٰ ذكر صفاته ولم يذكر كيفيتها، وكذا الرسول ﷺ. إذاً من قال بعد ذلك فهو كاذب؛ لأنه قال بدون علم، وإذا كان كذلك فلا يقبل قوله.

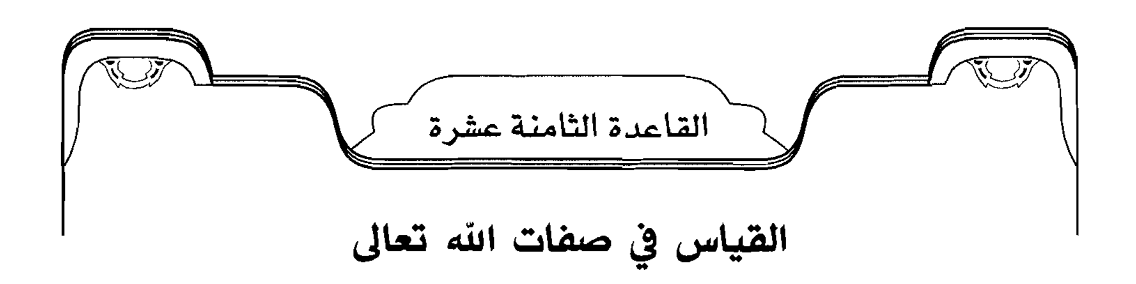
فلا نعلم كيفية صفات الله تعالىٰ؛ لأننا لم نره، وليس له مثيل، ولم يخبرنا الصادق، وهٰذا لا يعيبنا، بل من كمال العقل والدين أن يقول الإنسان لما لا يعلم: «لا أعلم».

وهناك أناس حاولوا أن يكيفوا صفات الله تعالىٰ، وهم المشبهة والممثلة، فوصفوه بالنقائص، وكذبوا علىٰ الله ﷻ في دعواهم أن كيفية صفات الله كذا وكذا، أو تشبه كذا وكذا، ولذٰلك هٰؤلاء شرٌّ من المعطلة.

والعلم بكيفية الصفات فرع عن العلم بكيفية الذات، فلا سبيل إلىٰ معرفة حقيقة الصفات وكيفيتها إلا إذا علمنا كيفية ذاته ﷻ، وهذا ما لا سبيل إلى معرفته البتة؛ إذ كيف لنا أن نعرف حقيقة ذاته ونحن لا نستطيع رؤيته؟!! وليس له شبيه أو مثيل أو سمي أو ند، وكيف نعرف حقيقة ذاته وهو القائل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]؟ وإذا كنا لا نعرف كيفية الموصوف وهو الله، فمن باب أولىٰ أن لا نعرف كيفية صفاته(١).

---

(١) انظر: «الرسالة التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٤.



القاعدة الثامنة عشرة

## القياس في صفات الله تعالى

**القياس في اللغة**: مِنْ قاسَ الشيء يقيسه إذا قدَّره علىٰ مثاله(١).

**وفي الاصطلاح**: «حمل فرع علىٰ أصل في بعض أحكامه لمعنىٰ يجمع بينهما»(٢) أو «حمل معلوم علىٰ معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما من حكم أو صفة»(٣).

فهو إلحاق شيء بشيء بعلة جامعة.

وينقسم القياس إلىٰ ثلاثة أنواع:

**القسم الأول**: **قياس الشمول**، و«هو ما يعرف بالعام الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فرد منه داخلاً في مسمىٰ ذلك اللفظ ومعناه»(٤).

مثاله: صفة «الحياة» فالله تعالىٰ حي، والمخلوق حي، فمسمىٰ الحياة تدخل فيه حياة الله وحياة المخلوق، فقالوا: بناءً علىٰ ذلك؛ فحياة المخلوق كحياة الخالق؛ لأنه يشملهما اسم الحياة، وهٰذا باطل؛ لأن الله تعالىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فلا نقول: حياة المخلوق كحياة الخالق؛ لأن حياة المخلوق ناقصة منغصة جاءت من عدم وهي إلىٰ عدم، وأما حياة الخالق فهي كاملة، ولا أول لها ولا نهاية.

**القسم الثاني**: **قياس التمثيل**، وهو أن يُلحق الشيء بمثله ويُقاس النظير علىٰ نظيره، فيثبت للمخلوق مثل ما يثبت للخالق، فيمثل المخلوق بالخالق،

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ١٨٥).
(٢) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١/ ٢٥٤).
(٣) «إرشاد الفحول» للشوكاني (٢/ ٨٩).
(٤) «شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين (١/ ١٢٩).

وهٰذا أيضاً مردود؛ لأن الله ﷻ متفرد بالكمال والجلال، فلا شبيه ولا مثيل ولا نظير له، فلا يجوز أن يقاس بأحد من خلقه، ولا يقاس به أحدٌ من خلقه، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فلا يمكن أن يقاس المخلوق بالخالق بحجة الاشتراك في الاسم.

**القسم الثالث: قياس الأولوية**، وهو أن يكون الفرع أولىٰ بالحكم من الأصل؛ كقياس تحريم ضرب الوالدين أو سبهما علىٰ تحريم قول «أف» لهما، فالثاني ثابت بالقياس الأولوي، وهذا يمكن استعماله في حق الله ﷻ.

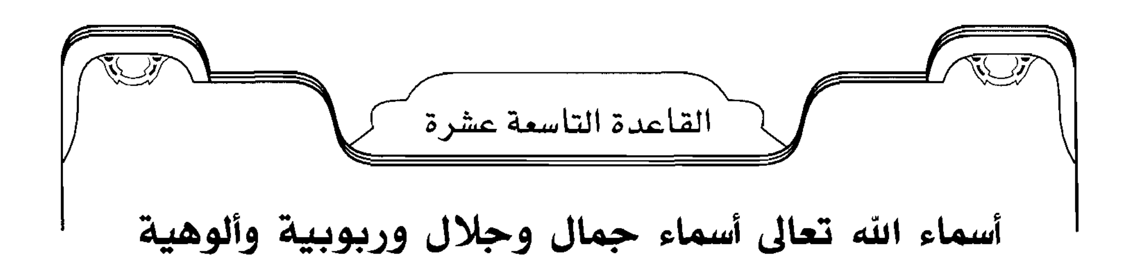
وقد تقدم هٰذا في القاعدتين الخامسة والسادسة: «كل صفة كمال في المخلوق فالخالق أولىٰ بها، وكل صفة نقص في المخلوق فالخالق أولىٰ بالتنزه عنها»، ولكنهما مقيدتان بما يليق بالله تعالىٰ، وهٰذا مقبول بقيده بدون الخوض في التفاصيل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يمكن أن يُستعمل في حقه قياس شمول منطقي تستوي أفراده في الحكم، كما لا يستعمل في حقه قياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع؛ فإنه ـ سبحانه ـ لا مثل له، وإنما يستعمل في حقه من هذا وهذا قياس الأولى، مثل أن يقال: كل نقصٍ يُنزه عنه مخلوق من المخلوقات فالخالق ـ تعالىٰ ـ أولىٰ بتنزيهه عنه، وكلُ كمال مطلق ثبت لموجود من الموجودات فالخالق تعالىٰ أولىٰ بثبوت الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه»[1].

وقال أيضاً: «كانت طريقة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ الاستدلال علىٰ الرب تعالىٰ بذكر آياته، وإن استعملوا في ذلك القياس استعملوا قياس الأولى، لم يستعملوا قياس شمول تستوىٰ أفراده، ولا قياس تمثيل محض»[2].

---

(١) «درء تعارض العقل مع النقل» (٤/ ٥٦).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ١٤١).




## أسماء الله تعالى أسماء جمال وجلال وربوبية وألوهية

تنقسم أسماء الله تعالىٰ إلىٰ أربعة أقسام:

**القسم الأول: أسماء جمال**، وهي التي تبعث في نفس العبد محبته ﷻ والأنس به وبلقائه والرغبة إليه، ويشعر بالراحة والطمأنينة، وتفتح باب الرجاء عند المخلوق، فلا يقنط من رحمة الله، مثل: «الرحيم»، «الكريم»، «العفو»، «الحليم». الغفور، التواب، الرحمن.

**القسم الثاني: أسماء جلال**، وهي التي تورث الهيبة والرهبة والخوف والخشية من الله ﷻ وتعظيمه وإجلاله، وهي التي فيها معاني القهر والقوة والعزة والجبروت والعظمة؛ كاسم «العزيز»، و«الجبار»[1]، و«القهار»، و«القوي»، و«الكبير» المتكبر.

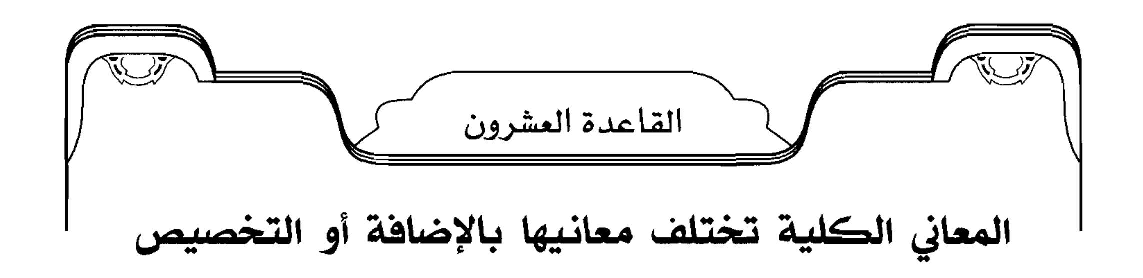
**القسم الثالث: أسماء ربوبية**، وهي التي يشعر عندها الإنسان بالذل، وأنه مخلوق مربوب لله، وهي التي تدل علىٰ ربوبية الله ﷻ؛ كالرب والسيد والملك والمالك والخالق والبارئ والرازق.

**القسم الرابع: أسماء ألوهية**، وهي التي يستشعر الإنسان فيها أنه عبد لله، وأن الله هو وحده المستحق للعبادة، وهي التي فيها معاني الألوهية كاسم: الله والإلـٰه والصمد.

وهذا التقسيم باعتبار معاني أسمائه ﷻ، وإلا فأسماء الربوبية مثلاً فيها معاني الجلال والجمال باعتبارات أخرى.

---

(١) اسم الجبار له معنيان: **الأول**: الجبار من الجبروت والقوة. **والثاني**: الجبار من جبر الكسور والرأفة بالناس فيدخل في أسماء الربوبية.



## القاعدة العشرون

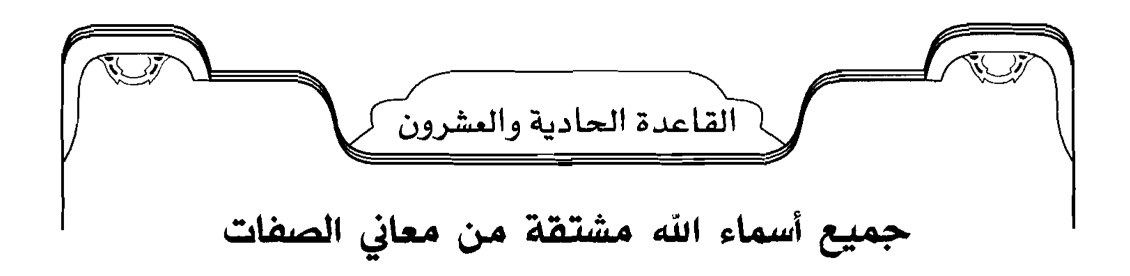
## المعاني الكلية تختلف معانيها بالإضافة أو التخصيص

معنىٰ هـٰذه القاعدة أن المعاني إذا أضيفت إلىٰ شيء فإن المعنىٰ يتغير، فسمع الله يليق به، وسمع الإنسان يليق به، فالسمع معنىٰ كلي، فإذا أضيف إلىٰ الإنسان؛ فهو سمع الإنسان، وإذا أضيف إلىٰ الله؛ فهو سمع الله، فإذا أضيف السمع إلىٰ شيء؛ تغير المعنىٰ بحسب الإضافة.

**مثال ذلك**: لفظ «اليد» فهو معنىٰ كلي، فإذا قلت يد الفيل؛ فهي غير يد الإنسان، فاختلف المعنىٰ عند الإضافة، وأما عند الإطلاق فهي يد واحدة.

وكذا «العلم» فهو في الأصل معنىٰ كلي، فإذا قيل: «علم الله»، و«علم الإنسان»، فلا يمكن أن يكون علم الله كعلم الإنسان بحجة أن كلاً منهما يرجع إلىٰ المعنىٰ الكلي وهو العلم.






# جميع أسماء الله مشتقة من معاني الصفات

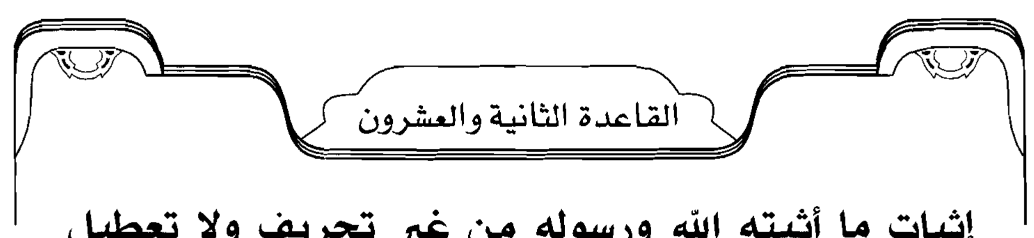
فكل اسم من أسماء الله ﷻ مشتق من الصفة.

مثال ذلك: «العليم» فهو مشتق من صفة العلم، و«السميع» مشتق من صفة السمع، و«القدير» مشتق من صفة القدرة، و«الرحمٰن» مشتق من صفة الرحمة، وهكذا.

فجميع أسماء الله تعالىٰ مشتقة من معاني الصفات، وهي دالة عليها، وموافقة لها في معناها[1].

---

(١) وقيل العكس: وهو أن الصفات مشتقة من الأسماء.




## إثبات ما أثبته الله ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف

تقدم في «القاعدة الثانية» وجوب إثبات ما أثبته الله ورسوله ﷺ من أسماء الله وصفاته، إلا أن هذ الإثبات يُشترط فيه أن يكون كما أراد الله ﷻ ورسوله ﷺ، وذلك باجتناب التحريف والتعطيل والتمثيل والتكييف.

**فالتحريف لغة**: هو الميل والتبديل والتغيير(١).

أما في **الاصطلاح**: فهو الميل والتغيير في ألفاظ ومعاني النصوص الشرعية، والعدول بها عما أراده الله ﷻ.

وينقسم التحريف إلىٰ قسمين:

**الأول**: تحريف اللفظ.

**الثاني**: تحريف المعنىٰ.

ولم يقل أهل العلم: «**من غير تأويل**»، وهٰذه المسألة قد تنبه إليها الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم تبعه علىٰ هٰذا كثير من أهل العلم، وذلك أن التأويل لا يرده أهل السُّنَّة، وإنما يردون التحريف، وهو اسم قبيح ليس كالتأويل؛ لأن التأويل له أكثر من معنىٰ، ومن هٰذه المعاني: التفسير: ومنه دعاء النبي ﷺ لابن عباس: «**اللَّهُمَّ فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»(٢).

ولذلك نبه أهل العلم إلىٰ أن فعل المخالفين لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة هو تحريف وليس بتأويل، وسيأتي بيان ذلك.

**وأما التعطيل**؛ فهو في **اللغة**: الترك والإخلاء والتفريغ(٣).

---

(١) انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢٣/ ١٣٥). (٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٧).

(٣) انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٣٠/ ٨)، «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ٣٥٢).

وفي **الاصطلاح**: نفي الأسماء والصفات أو بعضها عن الله تعالى، وفصل الاسم عن معناه.

والتعطيل شرٌّ من التحريف ـ وكلاهما شرٌّ ـ؛ لأن فيه اتهاماً لله بأنه لم يبين لنا مراده، وكذا الرسول ﷺ، وفيه اتهام للصحابة ﷺ بالجهل.

وقد نفىٰ قومٌ عن الله تعالىٰ جميع أسمائه وصفاته(١)، ونفيٰ بعضهم جميع الصفات(٢)، وبعضهم نفىٰ بعض الصفات(٣).

وتعطيل اللفظ عن معناه مرفوض عند أهل السُّنَّة والجماعة، **فمثلاً** من التحريف أن نقول: إن معنىٰ «الودود» هوالقدير، فهذا تحريف للفظ وتعطيل للصفة، فحُرف اللفظ عن معناه الظاهر، وهو أن الله تعالىٰ يود المؤمنين ويحبهم.

وعندما يقال: «ودود»، ولكن لا نعلم ما معنىٰ «الودود»، فهٰذا تعطيل للمعنىٰ.

وأما التمثيل؛ فهو أن يجعل لله نداً ونظيراً.

**وفي الاصطلاح**: أن تُجعل صفات الله ﷻ مثل صفات المخلوقين.

وبعض العلماء يعبر عنه بالتشبيه، والمراد واحد، إلا أن **التمثيل** هو التطابق بين المُمَثَّل والمُمَثَّل به في جميع الوجوه، وأما **التشبيه** فهو أن يتطابق المُشَبَّه والمُشَبَّه به في وجه من الوجوه أو أكثر، وليس جميعها.

وجئنا بلفظ «التمثيل» ولم نأتِ بلفظ «التشبيه» لأمرين:

**الأول**: أن كلمة «تمثيل» هي التي جاءت في النصوص، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

**الثاني**: أن التمثيل أعمّ من التشبيه؛ لأن التمثيل يشمل التشبيه وزيادة، وأما التشبيه فهو تشبيه الله بخلقه في بعض الصفات أو أكثرها.

وأول من عرف بالتشبيه اليهود، حيث كانوا يشبهون الله بخلقه ـ والعياذ بالله ـ. ثم تلقفها منهم الرافضة، وكان أول من شبّه، وقال بالتجسيم(٤): هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي.

---

(١) الجهمية. (٢) المعتزلة.

(٣) الأشاعرة والماتريدية والكلابية.

(٤) اشتهر عن الهشامين القول بالتجسيم، وروي عنهم ذلك في «الكافي» للكليني =

**وأما التكييف**؛ فهو في اللغة: جواب «كيف»؛ أي: جعل صورة في الذهن لشيء ما.

**واصطلاحاً**: تحديد وتعيين حقيقة صفات الله وكنهها.

فصفات الله تعالىٰ لا ندرك كيفيتها، ونعتقد أن عدم إدراكنا لكيفية صفاته لا يعني أن ليس لها كيفية، بل نؤمن أن لها كنهاً وحقيقةً وكيفيّةً، ولكن لم يخبرنا الله ولا رسوله ﷺ بذلك، وتعجز عقولنا أن تدرك وتعقل ذلك في الدنيا، كما قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام»[(١)].

وذكر أهل العلم أن في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ردٌ علىٰ المشبهة والمكيّفة، وعلىٰ المحرفة والمعطلة.

ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد علىٰ المشبهة والممثلة والمكيفة.

وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد علىٰ المحرفة والمعطلة.

وأما «الكاف» في قوله: ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾ فهي للتأكيد؛ وذلك أن أصل كلام العرب «ليس مثله شيء»، وهي مثل قول الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فأصلها «فبرحمة من الله لنت لهم»، وأما «ما» فهي زائدة للتأكيد.

وكذا في قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ①﴾ [القيامة: ١]، فأصلها «أقسم بيوم القيامة».

وكذا قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ⑯﴾ [الانشقاق: ١٦] أصلها «أقسم بالشفق». فـ«لا» جاءت زائدة للتأكيد.

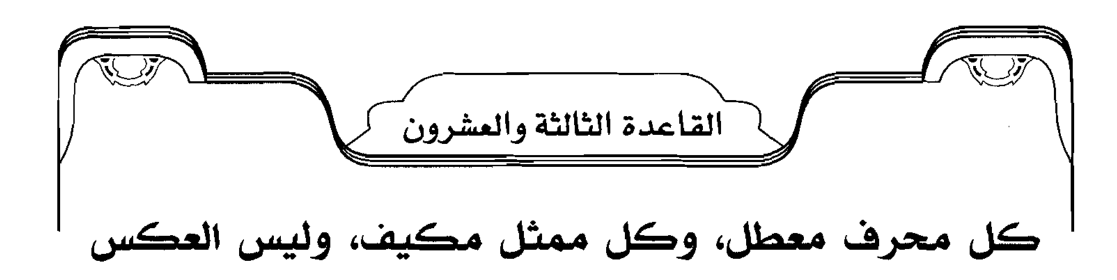
---

= (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، و«بحار الأنوار» للمجلسي (٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٥).

ونقل نعمة الله الجزائري اتفاق الهشامين على أن الله جسد، وذكر تفصيل قولهما وخلافهما فيه، ثم قال: «نعم، ربما رُوي في أخبارنا مثل هذا المنقول، وقد تأوله أصحابنا تارة بالحمل على التقية، وأخرى على حالهما قبل الاستبصار» «الأنوار النعمانية» (٢/ ١٦٢).

**وانظر أيضاً**: «الفصل في الملل» لابن حزم (٥/ ١٩٣ ـ ١٩٦)، «الملل والنحل» للشهرستاني ص٢١٦، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٨٦)، (١٣/ ١٥٤)، «منهاج السنة» (٢/ ٢٢٠، ٥٠٢).

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز، ص١١٧.



القاعدة الثالثة والعشرون

# كل محرف معطل، وكل ممثل مكيف، وليس العكس

هـٰذه القاعدة تنقسم إلىٰ قسمين:

**القسم الأول**: «كل محرف معطل، وليس كل معطل محرفاً»، ومعنىٰ هـٰذه القاعدة أن كل من وقع في تحريف صفة من صفات الله تعالىٰ؛ فإنه سيقع ولا بد في تعطيل هـٰذه الصفة؛ ولن يثبتها لله تعالىٰ؛ لأنه إذا حرّف اللفظ فإنه سيثبت صفة أخرىٰ غير التي ورد فيها النص. ولا يلزم من هـٰذا العكس؛ فلا يلزم من تعطيل الصفة تحريف المعنىٰ؛ لأن المعطل ينفي الصفة مطلقاً ويسلبها عن الله، وبهذا يكون قد زاد علىٰ المحرف بأنه لم يثبت الصفة، فالمعطلة ينفون الصفة، ولا يحرفون المعنى، وهؤلاء يعرفون بالمفوضة.

أما المحرف؛ فإنه غيَّر وبدَّل في معنىٰ الصفة، وهو بذلك ـ وإن أثبت لفظ الصفة ـ عطَّل؛ لأنه أخلى الله تعالىٰ عن تلك الصفة بعدم إثباتها بالمعنىٰ الذي أراده الله.

وكلاهما قد نفىٰ عن الله تعالىٰ صفاته الكاملة اللائقة به، فالأول أثبت الصفة ثم عطل بالتغيير والتبديل في معنىٰ الصفة، والثاني لم يثبت الصفة، فما وقع فيه المحرف تعطيل جزئي، والثاني تعطيل كلي.

مثال ذلك: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فعندما يأتي المحرف إلىٰ هـٰذه الآية، ويقول: معناها استولىٰ. فهـٰذا حرّف المعنىٰ، وعلىٰ هـٰذا فإنه عطل صفة الاستواء، ولم يثبتها لله تعالىٰ؛ لأنه سيثبت معنىٰ «استولىٰ»، وليس «استوىٰ».

وأما المعطلة فيقولون: لا نعلم معنىٰ «الاستواء»، فهم عطلوا معنىٰ الاستواء، ولم يحرفوا المعنىٰ عن ظاهره.

**مثال آخر**: في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فيقول المحرف: أي يثيبهم، فغير معنىٰ المحبة، وعليه فإنه عطل صفة المحبة، ولم يثبتها لله ﷻ؛ لأنه حرف الأصل. وأما أهل التعطيل فعطلوا معنىٰ صفة المحبة، ولم يحرفوا المعنىٰ، فقالوا: يحبهم ولكن لا نعرف معنىٰ يحبهم. !!

فمن وقع في التحريف؛ فإنه يلزمه التعطيل، ومن وقع في التعطيل؛ فإنه لا يلزمه التحريف.

**القسم الثاني**: «كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثلاً»، ومعنىٰ هذا أن الممثل إذا كان مشبهاً لله بخلقه؛ فإنه يلزم منه معرفة الكيفية، وأما المكيف فعندما يثبت كيفية الصفات؛ فإنه لا يلزم منه تمثيل.

**مثال ذلك**: عندما قال ذاك الرجل: «عندما ترىٰ أجمل رجل في الناس فقد رأيت الله»، فهٰذا شبه الله بالمخلوق، وهٰذا المخلوق له كيفية تُعلم، فهنا مثّل الله بخلقه، وكيّفه بكيفية معلومة؛ لأنه رآه.

ولكن من قال: إن الله له يد وكيفيتها كذا وكذا، وله وجه وكيفيته كذا وكذا، وهو لا يستطيع أن يمثله أو يرسمه، ويدخل في ذلك الخيال؛ فهذا كيّفه ولم يمثله أو يشبهه بأحد.

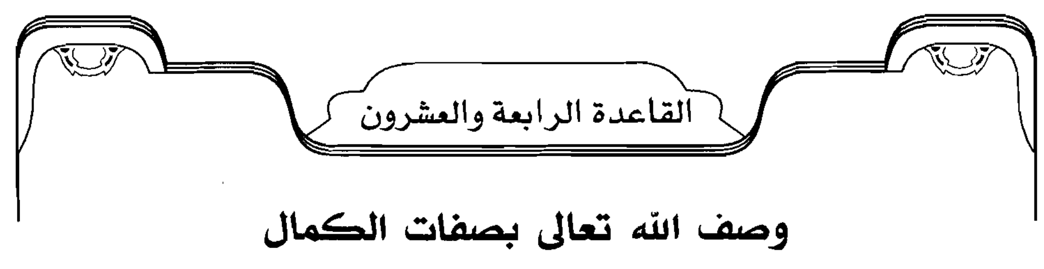
وكلاهما كيَّف صفات الله، ولكن المُمَثل زاد علىٰ التكييفِ التمثيلَ، لذلك من مثَّل فقد كيَّف، ومن كيَّف لا يلزم أن يمثل.

وأما المعطلة فهم مشبهة في الأصل؛ لأنهم ما عطلوا إلا بعد ما دخل التشبيه قلوبَهم، فأرادوا تنزيه الخالق فقالوا بالتعطيل، فالتشبيه هو الذي قادهم إلىٰ التعطيل.

والتمثيل كما قلنا يُشْبه التشبيه ويشمل الخيال، فلو جعل الإنسان لله صورةً موجودةً فقد شبّه ومثّل، ومن جعل لله صورةً خياليّةً غير موجودة في الواقع فقد مثّل.

**ومثال ذلك**: لما قالت النسوة عن يوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] مع أنهن لم يرين الملائكة، ولكن لما كان تصور الناس للملائكة علىٰ أنهم أجمل صورة؛ فلذٰلك لم يجدنَ مثالاً ليوسف إلا أن يشبّهْنَه بالملك الذي لم يرينه أصلاً، ولكن يعرفنَ أن له صورة جميلة.

وكذا الأمر بالعكس ما ذكره الله تعالىٰ عن شجرة الزقوم، فقال: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥]، مع أننا لم نر الشياطين، ولكن لما كانت صورة الشيطان في الذهن هي غاية في القبح ذكرها الله تعالىٰ لنا.



## القاعدة الرابعة والعشرون

# وصف الله تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عن النقائص وإثبات الصفات المقيدة

تنقسم الصفات إلىٰ ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: كمال مطلق**، وهي الصفات الثابتة لله تعالىٰ والكاملة من جميع الوجوه؛ كالصفات الخبرية: الوجه واليدين والساق والأصابع، وكالصفات الفعلية الثابتة لله تعالى، والتي لم تؤخذ منها أسماؤه ﷻ؛ كالضحك والغضب والنزول والاستواء، والتي بلغت أعلىٰ درجات الكمال، ولا تكون إلا كمالاً في حقه ﷻ.

**القسم الثاني: نقص مطلق**، وهي التي نفاها الله عن نفسه أو التي تتضمن النقص من جميع الوجوه، فلا يوصف الله سبحانه بها أبداً؛ لأنها صفات نقص من جميع الوجوه ولا كمال فيها أبداً.

والنفي التفصيلي في القرآن قليل جداً، وغالباً ما يأتي النفي مجملاً، وأما الإثبات فيأتي مفصلاً[1]، ولكن قد ينفي الله عن نفسه بعض الصفات؛ لأنها نقص في حق الله تعالىٰ، ومن ذلك: نفي الغفلة فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ونفىٰ عن نفسه النوم فقال: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونفىٰ عن نفسه النسيان فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤]، ونفىٰ عن نفسه الظلم فقال: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، فهٰذه الصفات منفيه عن الله تعالىٰ، ولا يجوز أن يوصف الله بها.

**القسم الثالث: كمال بقيد**، وهي صفات كمال من وجه ونقص من وجه

---

(١) انظر: القاعدة الخامسة والعشرون ص٨٠.

آخر، وتكون في حق الله تعالىٰ كمالاً؛ وذلك أنه سبحانه لا يتصف بها ابتداءً، وإنما يتصف بها في مقابلة من اتصفوا بتلك الصفات، وهي خمس صفات:

١. **المكر**: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

٢. **الكيد**: ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٦].

٣. **الخداع**: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣﴾ [الحديد: ١٣]، وهٰذا نوع من الخداع الذي عاملهم الله تعالىٰ به.

٤. **السخرية**: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

٥. **الاستهزاء**: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

وهٰذه الصفات مقيدة، وليست مطلقة، فنثبتها من باب الرد، ولا نثبتها ابتداءً لله تعالىٰ؛ لأن الابتداء في هٰذه الصفات نقص، وأما الرد فهو أخذ حق، فالذي يسخر من الذي يسخر منه أكمل من الذي يُسخر منه ويسكت ولا يرد، والذي يستهزأ بالذي يستهزأ به أكمل من الذي يُستهزأ به ويسكت.

ولذٰلك قال الله تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، فنوح عليه السلام لم يسخر منهم ابتداءً؛ لأن السخرية ابتداءً نقص في الإنسان، وإنما ردّ عليهم لأنهم سخروا منه.

ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٤]، فالمؤمنون يضحكون من الكفار؛ لأنهم هم الذين ضحكوا ابتداءً.

فالإنسان يرد علىٰ من يسخر منه، وعلىٰ من يمكر به، ويكيد له بمثل ما كان يفعل، ولا يتعدىٰ في ذلك، ولا يكون كما قيل:

**ألا لا يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنـا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينا**[١]

والصواب: أن نجهل عليه كما جهل علينا، ولا نزيد.

ولذٰلك قال عمر بن الخطاب: لست بالخَبّ، ولا الخَبّ يخدعني[٢].

إذاً هٰذه الصفات لا نثبتها لله ابتداءً، وإنما نقيدها بقيد، فالله يكيد بمن يكيد، ويمكر بمن يمكر، ويسخر بمن يسخر. ولذٰلك لم يتسمّ بها، فلم يتسم بالمخادع، أو الماكر، أو الساخر؛ لأنها نقص ابتداءً.

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنها ليست صفات لله، وإنما هي أفعال لله.

وقال بعض أهل السُّنَّة: هٰذه الصفات نقص علىٰ الإطلاق، ووصف الله لنفسه بهٰذه الصفات من باب المشاكلة في اللفظ، وإلا فالله تعالىٰ لا يتصف بهٰذه الصفات، وذهب إلىٰ هٰذا الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والصحيح أنها تثبت لله مقيدة غير مطلقة.

وأما صفة «الخيانة»؛ فلا نثبتها لله تعالىٰ لا ابتداءً ولا رداً؛ ولا يجوز وصف الله بها حتىٰ مع القيد؛ لأنها صفة نقص مطلقاً، وهي صفة مذمومة في كل الأحوال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانهم؛ حتىٰ من باب الرد.

وقد نهىٰ النبي ﷺ عن خيانة الخائن، فقال: «**أدّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك، ولا تخُنْ مَنْ خانك**»[٣]، بينما قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

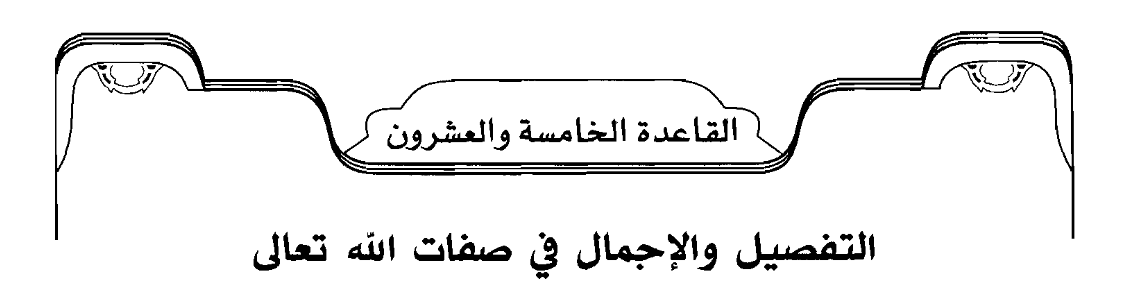
---

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم الثعلبي.

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي ص١٣. ويُنسب أيضاً لإياس بن معاوية، انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣/٤١٨)، و«عيون الأخبار»، ص١١٩.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٤٢٤)، وأبو داود (٣٥٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وكان النبي ﷺ في مكة، ولقي من المشركين الأذىٰ؛ كانت أماناتُهم عنده ﷺ، فلما هاجر؛ جعل علياً في مكة؛ حتىٰ يؤدي الأماناتِ إلىٰ أهلِها، وكان باستطاعته أن يأخذ هٰذه الأموال ـ مع كونهم خائنين ـ ولكنه لم يخنهم ﷺ.




## التفصيل والإجمال في صفات الله تعالى

الأصل في إثبات صفات الله تعالىٰ **التفصيل**، وهذا هو منهج القرآن والسُّنَّة، وأما النفي فالأصل فيه **الإجمال**، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

ولا يأتي النفي مفصلاً إلا لسبب، وهو قليل جداً، فمن هذه الأسباب:

أولاً: **دفع تهمة**، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص]، ففيها ردٌ علىٰ من زعم الولد لله.

وكقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨]، ففيها دفع لاتهام اليهود من أنه سبحانه مسه التعب بعد خلق السماوات والأرض في ستة أيام؛ فإنه قد جاء في التوراة: «في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع»(١).

ثانياً: **دفع توهم**؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، لئلا يتوهم أحد أن الله تعالىٰ قد يظلم أحداً من خلقه، أو أنه ينسى، أو أنه يغفل عن عباده، وهكذا في باقي الصفات المنفية عنه ﷻ: كالموت، والضلال، والسِّنَة، والنوم، وغيرها.

---

(١) «سفر الخروج» (٢٠/ ١١).

**ثالثاً: التهديد**، كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ففي هٰذه الآية نفىٰ الغفلة عنه لإرادة التهديد، فهو لا يريد أنه لا يغفل عن عباده فحسب، بل يريد تهديدهم.

والنفي في صفات الله تعالىٰ ليس نفياً محضاً؛ لأن النفي المحض المجرد عدم، والعدم ليس بشيء، ولا مدح فيه، فلا يليق بالله تعالى، وأحياناً يكون نتيجة عجز عن تلك الصفة، والله تعالىٰ منزه عن العجز.

فنفىٰ الولد والصاحبة عنه لبيان كمال غناه، ولإثبات وحدانيته وعزته، وعدم حاجته إلىٰ الغير، وأنه هو القائم بنفسه المقيم لغيره، ونفىٰ الظلم لبيان كمال عدله، ونفىٰ النسيان والغفلة لبيان كمال علمه وإحاطته وقدرته، ونفىٰ التعب لبيان كمال قوته وقدرته ﷻ.

وهذا معروف في لغة العرب؛ فإنهم لا يعدون النفي مدحاً، وقد يرون نفي الصفة ذماً وليس مادحاً، ومن ذلك قول النجاشي الحارثي في هجوه بني عجلان[1]:

**قُبيّلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خرد**

فمن ينظر إلىٰ هٰذه الأوصاف يظنها أخلاقاً عاليةً، ولكن القائل لا يريد هذا، وإنما يريد الطعن بهم، وأنهم جبناء عاجزون وغير قادرين علىٰ الظلم والعدوان، ويدل علىٰ التصغير في قوله «**قُبيّلة**».

ولما جاء الزبرقان بن بدر إلىٰ عمر بن الخطاب يشتكي شاعراً هجاه، فقال: ماذا قال لك؟ قال: قال لي:

**دعِ المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي**

فقال له عمر: ما أراه هجاك. فقال الزبرقان: ادع حسان. فجاء حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقال له عمر: ما أرىٰ أنه هجاه!! فقال حسان: ما هجاه، ولكن سلح عليه. فحبسه عمر رضي الله عنه[2].

---

(١) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، ص٦٦.

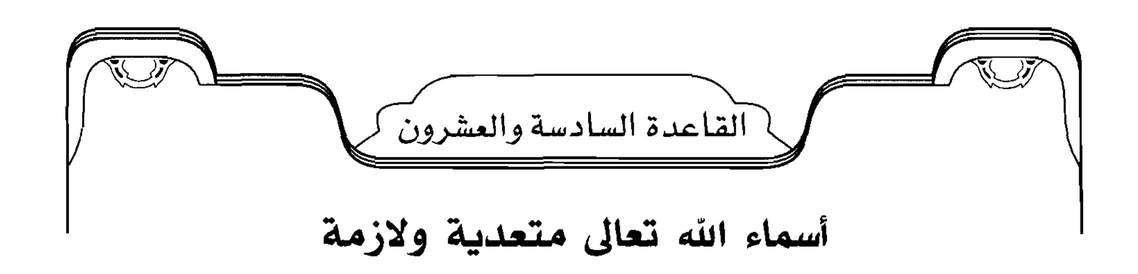
(٢) انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٨/٩٧).

**ووجه ذلك**: تشبيهه بالمرأة؛ لأن المرأة لا ترحل، ويأتيها طعامها وشرابها.

ولذلك قال الثاني:

**وليس قومي من الظلم في شيء وإن قل**

أي يريد الطعن بهم.




# أسماء الله تعالى متعدية ولازمة

**المتعدي**: هو ما يتعدىٰ أثر الفاعل إلىٰ المفعول به، مثل: نظف الرجلُ المسجدَ.

**واللازم**: هو ما لا يتعدىٰ أثر الفاعل إلىٰ مفعول به، مثل: صلىٰ سالم.

فإذا دل الاسم من أسماء الله تعالىٰ علىٰ وصفٍ يتعدىٰ أثره إلىٰ الخلق؛ فإنه يلاحظ ثلاثة أمور:

**الأول**: ثبوت ذلك الاسم لله تعالى.

**الثاني**: ثبوت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

**الثالث**: ثبوت المقتضىٰ «الأثر» لتلك الصفة.

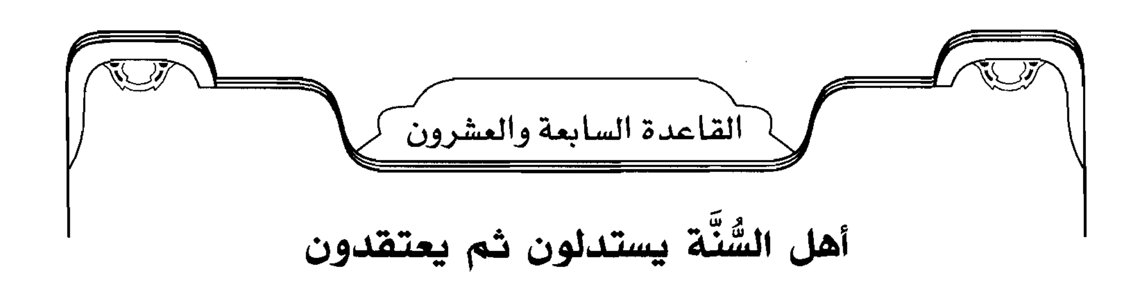
**مثال ذلك**: اسم الله «السميع»، فإن الصفة التي يدل عليها هذا الاسم وهي صفة السمع يتعدىٰ أثرها؛ فالله ﷻ يسمع جميع المخلوقين، فنثبت لله اسم السميع وصفة السمع، كما نثبت أيضاً مقتضىٰ صفة السمع وهو أنه يسمع خلقه ويسمع السر وأخفى.

وأما إذا دل الاسم علىٰ وصف غير متعد فيلاحظ أمران:

**الأول**: ثبوت الاسم.

**الثاني**: ثبوت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

**مثال ذلك**: اسم الله «الحي»، نثبت له اسم الحي وصفة الحياة؛ لأن هذه الصفة لا يتعدىٰ أثرها إلىٰ المخلوقين، ولا أثر لها في المخلوق، بخلاف «المحيي»، فإن لها أثراً.




## أهل السُّنَّة يستدلون ثم يعتقدون

هٰذه القاعدة تدل علىٰ المنهجية التي سار عليها أهل السُّنَّة، وهي التي يُبنىٰ عليها موضوع الأسماء والصفات، وهي الفيصل في هٰذه المسألة، وذلك أن أهل السُّنَّة يعظمون الدليل، وعقيدتهم مبنية عليه، والدليل هو الكتاب والسُّنَّة، فلا توجد عقيدة عند أهل السُّنَّة إلا ومبناها الدليل؛ لأنه الأصل، والعقيدة تبع للدليل، ولأنهم عظموا النصوص الشرعية، وجعلوها مقدمة علىٰ كل شيء.

وأما أهل الكلام؛ فالأصل عندهم أن الاعتقاد مبنيٌّ علىٰ العقل، ثم بعد ذلك يُنظر إلىٰ الأدلة، وذلك أنهم قدسوا عقولهم، فحكّموها وقدموها علىٰ النص، وسيأتينا من كلام بعض أهل الكلام الذين تابوا منه.

ومثال علىٰ ما ذكرنا من تقديمهم للعقل علىٰ النص كتاب «جوهرة التوحيد» مع شرحه، وهو كتاب معتمد عند الأشاعرة، وهو من أوله إلىٰ آخره لا تكاد تجد فيه آية أو حديثاً، وكل الاستدلال عقلي، ليس فيه إلا قيل وقال، وإذا جاء بآية فإنه يأتي بها لصرفها عن ظاهرها، وأما الاستدلال فنادر جداً أن يستدل بآية، أما الحديث فلا شأن لهم به.

بينما إذا رجعت إلىٰ كتاب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وجدت أن كله آيات وأحاديث، وهٰذا هو الأصل عند أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يعتقدون بناءً علىٰ الأدلة، لذٰلك هم يعظمون الدليل.

ولذا سُموا أهل السُّنَّة لتعظيمهم سُنَّةَ النبي ﷺ، وسُمي أولئك بأهل الكلام لتعظيمهم الكلام، وكل إنسان ينسب إلىٰ ما عُرف به، إلا طائفة واحدة وهم القدرية، نُسبوا إلىٰ القَدَر وهم نفاة القَدَر.

وأما أهل البدع فهم يقدمون العقل علىٰ النص عند التعارض؛ لأنهم يتهمون النقل باحتمال الخطأ، ولا يتهمون العقل، فيردّون النقل ولا يردون العقل.

وفي حقيقة الأمر أنه لا يمكن أن يعارض العقلُ النقل، فإذا اختلف العقل مع النقل؛ فإما أن يكون الخطأ في النقل، وإما أن يكون الخطأ في العقل.

وقولنا: «**الخطأ في النقل**» كأن يكون الحديث ضعيفاً أو موضوعاً أو منسوخاً، ولذٰلك ذكر أهل العلم أن من علامات الحديث الموضوع مخالفته للعقل الصريح.

وأما «**الخطأ في العقل**» كأن تقع له شبهة، فلا يفهم المراد من النص، وبناء علىٰ هٰذا ظهر له هٰذا التعارض.

**وتقديم العقل علىٰ النقل** هو سبب ضلال أهل البدع عموماً، وسبب ضلالهم في جميع أبواب الدين وليس فقط في باب الأسماء والصفات، وهذا منهجٌ واضح البطلان؛ لأن عقول الناس متفاوتة متباينة، فقد يثبت عقلٌ أمراً وينفيه آخر، وقد يوجب أمراً يمنعه عقل غيره، فليست هناك قاعدة مطردة لمن يعتمد علىٰ العقل.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعقول ليس لشيء واحد موصوف بحدود عند جميع الناس فيقتصر عليه، ولو كان كذلك كان راحةً للناس، ولقلنا به ولم نعد، ولم يكن الله ﷻ قال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، فوجدنا المعقول عند كل حزب ما هم عليه، والمجهول عندهم ما خالفهم»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو قيل بتقديم العقل علىٰ الشرع، وليست العقول شيئاً واحداً بيِّناً بنفسه ولا عليه دليل معلوم للناس، بل فيها هذا الاختلاف والاضطراب؛ لوجب أن يحال الناس علىٰ شيء لا سبيل إلىٰ ثبوته

(١) «الرد علىٰ الجهمية»، ص١٢٧.

ومعرفته ولا اتفاق للناس عليه. وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق، وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال الناس، والعلم بذلك ممكن، ورد الناس إليه ممكن»[١].

بل إن الإنسان نفسه يرىٰ اليوم رأياً وغداً يرىٰ غيره!! فليس هناك شيء ثابت يستطيع الناس كلهم اتباعه، والله سبحانه منزه عن أن يترك عباده لما يؤول بهم إلىٰ التناقض والاختلاف والحيرة.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد علمت أيها الناظر أنه ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقّاً، ولذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً، ثم يصيرون بعد غد إلىٰ رأي ثالث، ولو كان كل ما يقضي به حقّاً لكفىٰ في إصلاح معاش الخلق ومعادهم، ولم يكن لبعثة الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فائدة، ولكان علىٰ هذا الأصل تعد الرسالة عبثاً لا معنىٰ له، وهو كله باطل، فما أدىٰ إليه مثله»[٢].

والنبي ﷺ كان يُسئل عن أشياء ويمسك عن الجواب لأنه لا يعلمه، أو يقول: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[٣].

فالأصل عند أهل السُّنَّة الدليل الشرعي والعقيدة تبع له، والدليل هو الذي يقود إلىٰ الاعتقاد، وما خالف الدليل الصحيح ضربوا به عرض الحائط.

وأما أهل الكلام فإن الأصل عندهم الاعتقاد المبني علىٰ العقل، ثم ينظرون في النصوص ويبحثون هنا وهناك عن دليل يوافق ما اعتقدوه.

وتقديم النص والشرع مما تميز به أهل السُّنَّة عن المبتدعة عموماً، فهو سمة وعلامة لهم وحدهم.

قال الإمام الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول؛ لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلىٰ ما يوجبه العقل؛ لأن العقل ما يؤدي إلىٰ قبول السُّنَّة، فأما ما يؤدي إلىٰ إبطالها فهو جهل لا عقل»[٤].

---

(١) «درء التعارض» (١/ ٨٣). (٢) «الاعتصام» (١/ ١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٤٩).

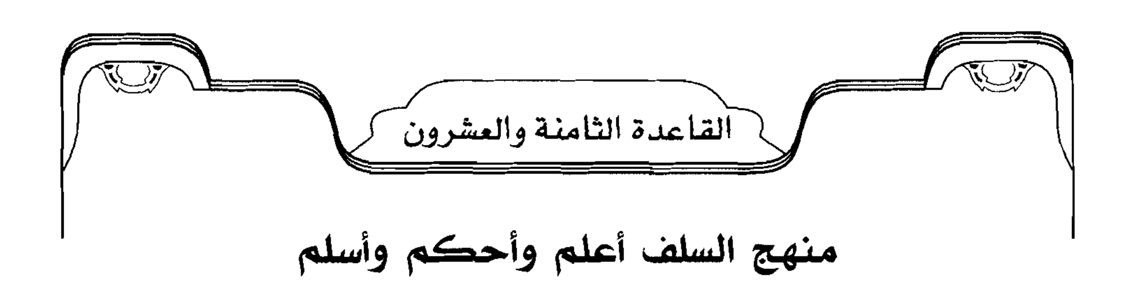
وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالحاصل من هذه القضية أنه لا ينبغىٰ للعقل أن يتقدم بين يدىٰ الشرع؛ فإنه من التقدم بين يدى الله ورسوله، بل يكون ملبياً من وراء وراء. ثم نقول: إن هذا هو المذهب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعليه دأبوا، وإياه اتخذوا طريقاً إلىٰ الجنة فوصلوا»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٣٣١).




# منهج السلف أعلم وأحكم وأسلم

خلافاً لمن قال: «منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم»، وكيف يكون منهجهم «أسلم» ولا يكون «أعلم وأحكم»، والسلامة تستلزم العلم والحكمة؟ وهذا تفريق باطل لا أساس له ولا دليل عليه.

بل نقول: إن منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم؛ لأن ما كان أسلم فهو أعلم وأحكم، وما كان أعلم وأحكم فهو أسلم، والحق واحد لا يتعدد.

وهذا القول فيه جرأة قبيحة؛ إذ كيف يكون منهج الخلف أعلم وأحكم من منهج السلف الذي هو منهج النبي ﷺ ومنهج أصحابه ﷺ وكل من اتبعهم بإحسان؟!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدىٰ ومصابيح الدجى؛ الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة، ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ـ لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ـ من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟»[1].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/١١ ـ ١٢).

وكونهم يقرون أن منهج السلف أسلم؛ فهٰذا يكفي، وشهدوا بهذا؛ لأن المخالفين لأهل السُّنَّة لا يمكنهم أبداً أن ينقلوا نقلاً صحيحاً صريحاً عن واحد من السلف يؤيد ما ذهبوا إليه، ولذٰلك لا تنتسب هٰذه المذاهب إلىٰ أصحاب النبي ﷺ، ولا إلىٰ أئمة التابعين، وإنما تنتسب إلىٰ أناس غير معروفين بصحبة النبي ﷺ أو بالإمامة في الدين، ولما لم يجدوا مجالاً للتعلق بسلف هٰذه الأمة، ولا يمكنهم أيضاً أن يطعنوا في سلف هٰذه الأمة مباشرة؛ قالوا: منهج السلف أسلم.

ودع عنك مذهب الرافضة والخوارج الذين طعنوا في سلف هٰذه الأمة؛ لأن الرافضة والخوارج ليسوا من المذاهب الكلامية ـ وإن صاروا الآن كذلك ـ، وإنما كانوا من المذاهب السياسية، ثم بعد ذلك اضطروا إلىٰ أن يجعلوا لهم مذهباً عقدياً، فقدر الله علىٰ الرافضة والخوارج أنهم يأخذون طريق المعتزلة خاصة في صفات الله تعالىٰ.

فأهل الكلام ـ خلافاً للخوارج والرافضة ـ وإن كانوا انحرفوا إلا أنهم يعظمون السلف، يعظمون أصحاب النبي ﷺ، ولا يتكلمون فيهم، خاصة الأشاعرة والماتريدية والكلابية كثير منهم يرىٰ أن من يطعن في أصحاب النبي ﷺ أو يسبهم؛ فإنه كافر.

ولكن لأنهم وجدوا أن أهل السُّنَّة عندما يستدلون فإنهم يذكرون نصوصاً، سواء من السُّنَّة، أو عن أصحاب النبي ﷺ، أو عن التابعين، أو عن الأئمة الأربعة، أو غيرهم، بينما هم لا يجدون شيئاً من ذلك، وإنما كل استدلالاتهم عقلية، ولذٰلك أدباً منهم قالوا: منهج السلف أسلم، وهٰذا حق، فمنهج السلف أسلم، نوافقهم علىٰ هذا، ولكن لا نوافقهم علىٰ قولهم: إن منهج الخلف أعلم وأحكم؛ لأن منهج السلف كذلك أعلم وأحكم، وهم يقرون بأن أصحاب النبي ﷺ أعلم الناس، ولكنهم يقولون: إنهم لم يخوضوا في هذا. نقول: لا، عرفوا وامتنعوا عن علم رضي الله عنهم.

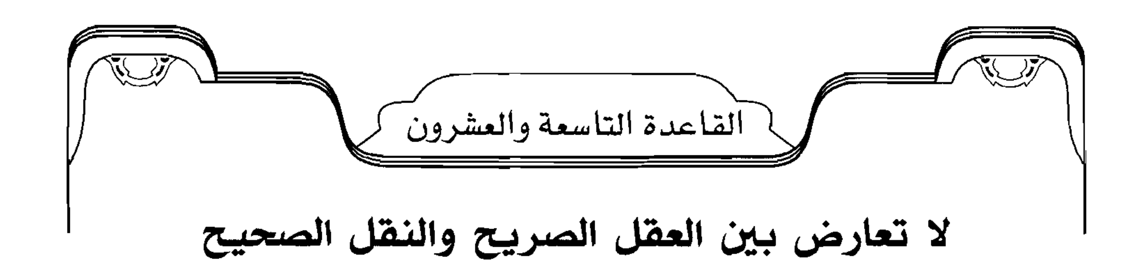
إن منهج السلف هو المنهج الصحيح والوحيد الذي ينبغي للمسلمين جميعاً التمسك به، فإنه «لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله»[١]، و«ما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»[٢].

**وكل خير في اتباع من سلف        وكل شر في ابتداع من خلف**

❊ ❊ ❊

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣/ ١٠).

(٢) «الإحكام» لابن حزم (٦/ ٢٢٥).




## لا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنىً باطلاً، فالآفة منهم، لا من الكتاب والسُّنَّة»(٢).

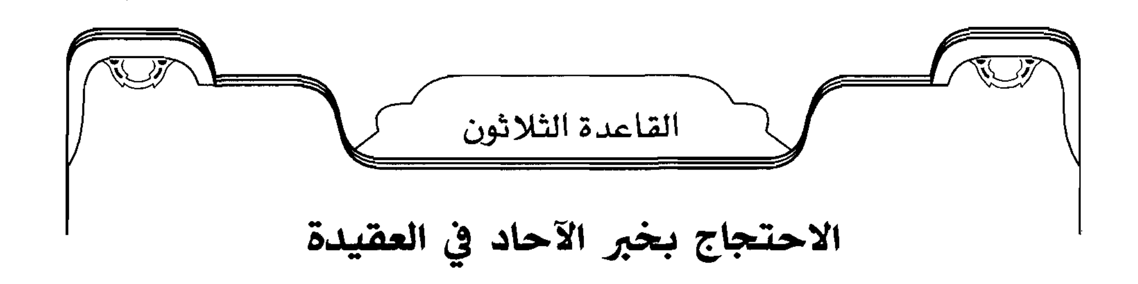
وذلك أن العقل والنقل مصدرهما واحد، فالنقل وحي من الله تعالىٰ، والعقل وهبة من الله، فلا يمكن أن يكون تعارض بينهما، فإن تعارضا؛ فإما أن يكون العيب في النقل أو العقل.

**فأما النقل**؛ كأن يكون الحديث غير صحيح؛ كالأحاديث الموضوعة أو الضعيفة، أو أن يكون نسخ، ومثال ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فالآيتان ظاهرهما التعارض، ولكن الآية الثانية ناسخة للأولىٰ، وليست معارضة.

**وأما العقل**؛ فلأن العقول متفاوتة، وليست علىٰ مستوىً واحد، فقد يقبل العقل قضية ويرفض الأخرىٰ ويأتي عقل آخر فيعكس؛ لقصور في العقل.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٨٠).
(٢) المصدر السابق (١١/ ٤٩٠).




## الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة

تنقسم الأخبار من حيث طريق وصولها إلينا إلىٰ قسمين:

**القسم الأول**: **المتواتر**، وهو ما رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطؤهم علىٰ الكذب. فكل طبقة من طبقات السند فيها جمع من الرواة.

وقولنا: «**تحيل العادة تواطؤهم علىٰ الكذب**»؛ لاحتمال وجود أناس يتفقون علىٰ الكذب، وهٰذا كثير عند أهل البدع كالرافضة.

وأما أقل المتواتر؛ فقد اختلف فيه أهل العلم، فبعضهم قال: سبعة، وبعضهم قال: عشرة، **والصحيح** أنه لا اعتبار بالعدد.

**القسم الثاني**: **الآحاد**، وهو ما لم يكن متواتراً، وهو علىٰ ثلاثة أقسام:

**الأول**: **الغريب «الفرد»**، وهو الذي يرويه واحد، وهو إما نسبي أو مطلق، **فالمطلق** ما كان مدار الحديث علىٰ رجل واحد، **والنسبي** ما ترجع بعض طرقه إلىٰ راوٍ واحد.

**الثاني**: **العزيز**، وهو الذي يرويه اثنان في إحدىٰ الطبقات.

**الثالث**: **المشهور**، وهو الذي يرويه ثلاثة فأكثر ما لم يبلغ حد التواتر.

وأهل السُّنَّة يقبلون كل ما صح عن النبي ﷺ، سواء كان من طريق الآحاد أو المتواتر، ولا يفرقون بينهما، إلا في حال التعارض؛ فإنه يقدم الأقوىٰ، وهٰذا قليل، بل نادر الوقوع.

وأما القرآن؛ فكل حرف فيه متواتر رواه جمع عن جمع من عهد النبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا.

والمخالفون لأهل السُّنَّة يتفقون مع أهل السُّنَّة في تواتر القرآن، ويقبلون

كل ما فيه، وكذلك قبلوا الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ، وافترقوا مع أهل السُّنَّة في الآحاد، فردوا أحاديث العقيدة التي جاءت من طريق الآحاد، وحجتهم في هٰذا أن العقيدة مهمة جداً، فمدار دخول الجنة والنار علىٰ الاعتقاد، فإذا كان الأمر كذلك؛ فلا نقبل في الاعتقاد إلا ما كان متواتراً.

وقالوا: إن مسائل العقيدة مسائل علمية، وأما المسائل الفقهية فهي عملية[1]، والعلمي أهم من العملي، فنأخذ بالآحاد في العملي، ولا نأخذ به في العلمي.

والجواب علىٰ هٰذه الشبهة من وجوه:

**الأول**: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا يدل علىٰ الجزم بقبول خبر الواحد[2]، وأنه لا يحتاج إلىٰ التَّثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم؛ لأمر بالتثبت حتىٰ يحصل العلم»[3].

**الثاني**: لا فرق بين العلمي والعملي، ولقائل أن يعكس، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة؛ فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما تحتج بها في الطلبيات العمليات، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه ديناً، فشرعُه ودينُه راجع إلىٰ أسمائه وصفاته. ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوَّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين؟ نعم، سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ويحيلون علىٰ آراء المتكلمين

---

(١) كالصلاة والزكاة والصيام والحج، فهٰذه مسائل عملية.
(٢) إن لم يكن فاسقاً.
(٣) «مختصر الصواعق»، ص٥٧٧.

وقواعد المتكلفين، فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمرين»[١].

ولقائل أن يقول: إن المسائل العملية أهم من المسائل العلمية؛ لأنها تفعل في كل يوم، ولا تنتهي هٰذه القضية.

**الثالث**: إن الله ﷻ أمر الناس بسؤال أهل العلم كما في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وهو خبر واحد، ولا يعقل أبداً أن يذهب السائل إلىٰ جميع أهل العلم ليسألهم جميعاً عن مسألته، أو إلىٰ من يبلغ عددهم حدَّ التواتر، وإنما يسأل من تيسر منهم ممن يثق بدينه وعلمه وورعه ولو كان واحداً.

**الرابع**: إن النبي ﷺ أرسل آحاد الصحابة يدعون الناس إلىٰ الإسلام، ففي أول الدعوة أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير ﷺ إلىٰ المدينة يدعو[٢]، ثم أرسل أبا عبيدة لأهل نجران[٣]، وأرسل علي بن أبي طالب إلىٰ اليمن[٤]، وأرسل معاذ بن جبل وأبا موسىٰ الأشعري إلىٰ اليمن[٥]، فكان ﷺ يرسل آحاداً ليبلغوا هٰذا الدين، وغالباً يكون هذا حال الدعاة إلى الله.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «وهو ﷺ لا يبعث بأمره إلا والحجة للمبعوث إليهم وعليهم قائمةٌ بقبول خبره عن رسول الله ﷺ، وقد كان قادراً علىٰ أن يبعث إليهم فيشافههم، أو يبعث إليهم عدداً، فبعث واحداً يعرفونه بالصدق»[٦].

**الخامس**: إن عدد الأحاديث المتواترة في العقيدة قليلٌ جداً، بل لم تتجاوز الثلاثة عشر حديثاً كما في كتاب «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» لجلال الدين السيوطي رحمه الله، وهٰذا معناه رد جميع أحاديث العقيدة

---

(١) المصدر السابق ص٤٨٩.
(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٠)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (٢٤٢٠)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩٢)، من حديث البراء رضي الله عنه.
(٥) أخرجه البخاري (٢٨٧٣)، ومسلم (١٧٣٣)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.
(٦) «الرسالة»، ص٤١٢ ـ ٤١٣.

التي جاءت من طريق الآحاد، وفيه رد للدين جملةً؛ لأن غالب السنة جاءت عن طريق أحاد.

قال أبو حاتم ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تنكَّب عن قبول أخبار الآحاد؛ فقد عَمَدَ إلىٰ ترك السنن كلِّها؛ لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد»[١].

**السادس**: إن هـٰذا القول محدث، ولم يقل به أحد من السلف، وإنما جاء متأخراً، وما قال به إلا أهل الكلام من المعتزلة.

بل إن تقسيم الأخبار إلىٰ آحاد ومتواتر تقسيم محدث لا يعرفه السلف، ولا أهل العلم، وإنما هو من علم الكلام، وهو ليس من علم المصطلح، ولكن صار متعارفاً عليه الآن. وإنما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم عند التعارض، فيرجح بين الحديثين عند تعذر الجمع بينهما، وقد ذكر العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ أن أوجه الترجيح تزيد علىٰ المئة[٢].

ومن أوجه الترجيح التي ذكرها أهل العلم: تقديم المتواتر علىٰ الآحاد، تقديم ما في الصحيحين علىٰ غيرهما، تقديم ما في البخاري علىٰ مسلم، تقديم ما رواه الأئمة علىٰ رواية الثقات من غير الأئمة، ورواية الأكثر علىٰ الأقل.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار ـ فيما علمت ـ علىٰ قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت، ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، علىٰ هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلىٰ يومنا هذا»[٣].

وقال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به؛ شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار»[٤].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١/ ١٥٦).
(٢) انظر: «التبصرة والتذكرة» للعراقي (١/ ٢٠٠).
(٣) «التمهيد» (١/ ٢).
(٤) «الانتصار لأصحاب الحديث»، ص٣٥.

**السابع**: لا يوجد دليل آحاد فضلاً عن وجود دليل متواتر يدل علىٰ هٰذه المسألة، مع أنها من المسائل العقدية الهامة، ولا بد من دليل متواتر لإثباتها.

**الثامن**: لو ذهب مَنْ يعتقد بهٰذه العقيدة إلىٰ بلاد الكفر ليدعو إلىٰ الإسلام، ثم قام وتكلم أمام الناس يدعوهم إلىٰ الله، وبعد ذلك قام إليه أحد المستشرقين وقال له: الاعتقاد لا يقبل إلا من طريق متواتر، وأنت فرد تدعونا إلىٰ العقيدة!! فكيف نقبل منك الإسلام وأنت واحد. فكيف سيرد عليه هٰذا الداعية إذا كان يعتقد هٰذه العقيدة؟!

**التاسع**: علماء الكلام ليسوا من أهل التخصص والاهتمام بعلم الحديث وجمع طرقه، فمن الذي سيحكم على حديث ما بأنه متواتر أو آحاد؟!

**الخلاصة**: نقبل في باب الاعتقاد حديث الآحاد إذا صحَّ عن النبي ﷺ، كما أننا نقبله في الأحكام، ولا فرق.

# فروع مهمة

## أولاً: موقف السنة من القرآن الكريم

السُّنَّة وحي من الله تعالىٰ، وهي مصدر من مصادر التشريع، وتأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن من حيث المكانة، وإلا فهي مصدر أصلي من مصادر التلقي.

وللسُّنَّة مع القرآن الكريم أحوال:

**الحال الأولىٰ: أن تكون موافقة للقرآن**، وهٰذا كثير في القرآن؛ كالأمر بالصلاة، والزكاة، والحج، والأمر بالمعروف، ومحاسن الأخلاق، فكل هٰذه المسائل جاء بها القرآن، وقررتها السُّنَّة تأكيداً لما جاء في كتاب الله تعالىٰ، قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال النبي ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»[(١)].

**الحال الثانية: أن تكون مبينة لما في القرآن**، وهٰذا علىٰ أوجه:

**الأول: مفسرة للقرآن**؛ كقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ففسر النبي ﷺ القوة بقوله: «**ألا إن القوة الرمي**»[(٢)].

**الثاني: مبينة للمجمل**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فجاءت السُّنَّة تبين أوقات الصلاة، وعدد الركعات، وكيفيتها، وهيئتها، كما قال النبي ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم (١٩١٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

**الثالث: مقيدة للمطلق**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، فلفظ «اليد» مطلق، يحتمل من الكف، ومن العضد، ومن المرفق، فجاءت السنة تقيّد الموضع، فقطع رسول الله ﷺ من الكف(١).

**الرابع: مخصصة للعام**، مثل قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء: ١١]، فهٰذا الخطاب للناس كافة، ويشمل الأنبياء، فجاءت السنة مخصصة بقول النبي ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء لا نورث**»(٢) فخصص الأنبياء، وبقي النص العام يشمل جميع الناس إلا الأنبياء عليهم السلام.

**الخامس: مضيفة لما لم يذكر في القرآن**، مثل قول الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ثم ينهىٰ النبي ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير(٣). فأضاف النبي ﷺ حكماً جديداً علىٰ الأطعمة المحرمة المذكورة في الآية.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ [النساء: ٢٣، ٢٤]، ففي هاتين الآيتين ذكر النساء اللاتي يحرم الزواج بهن، ثم جاء في «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «**لا يُجمعُ بين**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٥٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٧)، ومسلم (١٧٥٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه مسلم (١٩٣٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

**المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها»**[١] فالسُّنَّة أضافت حكماً جديداً لم يذكر في القرآن.

### ❁ هل السُّنَّة تنسخ القرآن؟

اختلف أهل العلم في هٰذه المسألة علىٰ ثلاثة أقوال:

**القول الأول**: أن السُّنَّة لا تنسخ القرآن مطلقاً؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، والسُّنَّة ليست بخير من القرآن ولا مثله من حيث الثبوت والمتكلم، وإلا فهي مقبولة من حيث التشريع، وذهب إلىٰ هٰذا القول جمهور العلماء.

**القول الثاني**: أن السُّنَّة تنسخ القرآن، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، ولقول النبي ﷺ: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»**[٢] وقالوا: إن السُّنَّة من الله تعالىٰ، فالذي نسخ القرآن هو الله تعالىٰ، فلا مانع من أن تنسخ السُّنَّةُ القرآنَ. وضربوا لذٰلك أمثلة، منها قول الله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقول النبي ﷺ: **«لا وصية لوارث»**[٣] في الحديث نفي الوصية للوارث، والوالدان وارثان قولاً واحداً، فقالوا: السُّنَّة نسخت القرآن.

وأجاب المانعون عن هٰذا الدليل، فقالوا: إن هٰذه جاءت مؤكدة، والذي نسخ هذه الآية آيةُ المواريث، وهي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٠)، ومسلم (١٤٠٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٧٤)، من حديث المقدام رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه أحمد (١٧٦٦٣)، وأبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢١)، وابن ماجه (٢٧١٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

**القول الثالث**: وهو اختيار شيخنا محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذكر أنه من حيث النصوص العامة الذي يظهر أن السُّنَّة تنسخ القرآن، للأدلة التي استدل بها أصحاب القول الأول، ولكن لا يوجد مثال يمكن الاعتماد عليه. وهٰذا القول فيه جمع بين القولين.

علىٰ كل حال تبقىٰ المسألة نظرية، مع اتفاقهم علىٰ تعظيم سُنَّة النبي ﷺ.

### ❁ ما لا يدخل فيه النسخ:

النسخ له تعلق بالأحكام فقط، ولا يمكن وقوع النسخ في الأمور التالية:

١. الأخبار الماضية كقصص الأنبياء.

٢. العقائد وأصول الدين؛ كالإيمان بالله، واليوم الآخر، والرسل.

٣. أمهات الأخلاق والفضائل، وأمهات الرذائل.

٤. الأمور الغيبية التي ستقع.



## ثانياً: أصل ضلال الخلق

أصل ضلال الخلق يكون في أحد أمرين:

**الأول:** في تشبيه الخالق بالمخلوق.

**الثاني:** في تشبيه المخلوق بالخالق.

وهٰذه الأمة وسط بين الأمم؛ مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهي وسط في كل شيء دون إفراط أو تفريط.

**مثال ذلك:** موقف الناس من عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، **فقالت النصارىٰ:** هو ابن الله، وهو الخالق والإلـٰه، وهو ناسوت ولاهوت. **وقالت اليهود** في المقابل: هو ابن زنا، وكذاب، وليس بنبي. فالنصارىٰ أفرطوا وغلوا، واليهود فرطوا وجفوا.

وأما المسلمون؛ فقالوا: عيسىٰ ابن مريم نبي رسول، ولكنه بشر كسائر البشر، وليس ابناً لله ولا خالقاً ولا مدبراً، وكذلك ليس ابن زنا، ولا كذاباً، فتوسطوا في هٰذه المسألة، فلا إفراط ولا تفريط.

فلو نظرنا إلىٰ ضلال الخلق في الاعتقاد؛ لوجدناه مرتبطاً بهاتين القضيتين: إما تشبيه الخالق بالمخلوق، وإما تشبيه المخلوق بالخالق.

ومن الذين شبهوا الخالق بالمخلوق: المجسمة والمشبهة، فنزّلوا من قدر الخالق ﷻ، وجعلوه جسماً كالأجسام، وجعلوه مشابهاً لخلقه ـ والعياذ بالله ـ، وأول من اشتهر بهٰذا اليهود، وأخذه عن اليهود الرافضة علىٰ يد هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، ثم انتقلت الرافضة من مشبهة إلىٰ معطلة كالمعتزلة.

وأما الذين شبهوا المخلوق بالخالق؛ فهم النصارىٰ، واليهود، والمشركون.

فقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، كما حكىٰ الله عنهم فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال المشركون: الملائكة بنات الله، واشتقوا أسماء أصنامهم من أسماء الله، فقالوا: «العزىٰ» من العزيز، و«اللات» من الله وهي مؤنث الإلٰه، و«مناة» من المنان، قال تعالىٰ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ [النساء: ١١٧].

ومن الغلو ما قاله بعضهم لأحد الملوك:

**ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم أنت الواحد القهار**

وقال الآخر:

**فكن كما شئت يا من لا شبيه له ... وكيف شئت فما خلق يدانيك**

وهٰذا كله من التشبيه والغلو، حيث شبهوا المخلوق بالخالق والعياذ بالله.

## ثالثاً: التحريف

التحريف هو التغيير، وهو علىٰ قسمين:

**القسم الأول: تحريف اللفظ**، مثل قول الله تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٥٨]؛ أي: قولوا: حُطَّ عنا ذنوبنا، فعاندوا وكابروا وقالوا: حنطة[١]. وقالوا: حبة في شعرة[٢]، وهٰذا من عنادهم.

وكذلك قول الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، فالمتكلم في هٰذه الآية هو الله ﷻ، وذلك أن لفظ الجلالة «الله» فاعل، و﴿مُوسَىٰ﴾ مفعول به، والكلام موجه إليه. فحرفوا اللفظ، فقالوا: «وكلم اللهَ موسىٰ تكليماً» فجعلوا لفظ الجلالة «الله» مفعولاً به؛ ليجعلوا موسىٰ هو المتكلم بدل الله. وهٰذا لئلا يجعلوا الله هو المتلكم، وهٰذا تحريف للفظ.

وذكروا أن أحد المعتزلة جاء إلىٰ القارئ المشهور أبي عمرو بن العلاء، فقال المعتزلي له: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ بنصب لفظ الجلالة «الله»، ليكون موسىٰ هو المتكلم.

فقال له أبو عمرو بن العلاء: هب أني قرأت هٰذه الآية كذا، فكيف تصنع بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فبهت المعتزلي[٣]، وحمله علىٰ هٰذا أنه يعتقد أن الله لا يتكلم، فمن سمات أهل البدع أنهم يعتقدون ثم يستدلون.

---

(١) أخرجه أحمد (٨١١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٢)، ومسلم (٣٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) انظر: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز، (١/٢٥٨).

وكان رجل من أهل مرو صديقاً للجهم، ثم قطعه وجفاه، فقيل له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل؛ قرأت يوماً آية كذا وكذا، فقال: ما كان أظرف محمداً فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: أما والله لو وجدت سبيلاً إلىٰ حكها لحككتها من المصحف[١].

وقَتل خالد بن عبد الله القسري الجعدَ بن درهم، وقال: إن الجعد زعم أن الله لم يكلم موسىٰ تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً[٢].

**القسم الثاني**: **تحريف المعنىٰ**، كما في قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فقالوا: استوىٰ؛ أي: استولىٰ[٣]، فهٰذا تحريف للمعنىٰ. وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٤]، فقالوا: معنىٰ الغضب إرادة الانتقام، وليس الغضب الحقيقي؛ لأن الله لا يغضب.

---

(١) أخرج هٰذه القصة البخاري في «خلق أفعال العباد» (٥٨).

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٨٧، ١٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٤٣).

(٣) جاء في «ظلال القرآن» لسيد قطب (٥/ ١١١): «والاستواء علىٰ العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء».

## رابعاً: التأويل

وله أكثر من معنىٰ:

المعنىٰ الأول: **التفسير**، ومن ذلك دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»[١]؛ أي: التفسير.

وقال جابر عن رسول الله ﷺ: ورسول الله بين أظهرنا ينزل عليه القرآن، وهو يعلم تأويله[٢].

وقد سمىٰ إمام المفسرين ابن جرير الطبري تفسيره باسم «جامع البيان في تأويل آي القرآن»؛ أي: في تفسير آيات القرآن الكريم.

**المعنىٰ الثاني: ما يؤول إليه الأمر**؛ أي: ما يصير إليه الأمر، وهو إما أن يكون خبراً أو طلباً، **فالخبر** كقول الله تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فهٰذا خبر.

**وأما الطلب** فهو كقول صاحبي السجن ليوسف عليه السلام: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٣٦] وهٰذا طلب منهما ليوسف.

**المعنىٰ الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره**، وظاهر اللفظ هو ما يفهمه السامع ابتداءً.

واشترط أهل العلم أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بحجة وقرينة، أو ما يسمىٰ عندهم بالدليل الراجح، وإلا كان صرف اللفظ عن ظاهره تحريفاً وإن سموه تأويلاً.

ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] فظاهر اللفظ أن الاستعاذة تكون بعد القراءة، وليس هٰذا المراد، وإنما المراد: إذا أردت

---

(١) تقدم تخريجه، ص٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٠٧).

أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله، فصرفنا اللفظ عن ظاهره، ولم نعمل بالظاهر لحجة وقرينة، وهي فعل النبي ﷺ، فكان يستعيذ في بداية قراءته، كما ثبت في حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول قبل القراءة: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[(٢)]، وكذلك سائر قراءته ﷺ، فهٰذا صرفٌ للفظ عن ظاهره، ولكنه بحجة وقرينة.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، والمراد بأمر الله هو يوم القيامة، وهي ـ قطعاً ـ لم تأتِ بعد بدلالة الحال والنصوص، والفعل ﴿أَتَىٰٓ﴾ فعل ماض يدل علىٰ وقوع الأمر وانقضائه، ويدل أيضاً علىٰ قرب إتيانه وهو المراد في هٰذه الآية، ولكنه جاء بصيغة الماضي لتحقق وقوعه. كما أن في الآية قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره، وهي قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فإنه يدل علىٰ عدم وقوعه.

إذاً التأويل عند أهل السُّنَّة غير ممنوع، وهٰذه قضية مهمة جداً، فعندما يقال: إن أهل السُّنَّة لا يأولون؛ فإن هٰذا الكلام باطل؛ وإذا ذكر فيراد منه: لا يحرفون؛ لأن اهل الباطل يسمون تحريفهم تأويلاً لأن أهل السُّنَّة يُأوِّلون، ولكن بدليل راجح، والأصل عندهم أن الكلام علىٰ ظاهره إلا إذا دل دليل أو قرينة علىٰ أن الظاهر غير مراد.

فأهل السُّنَّة ليسوا ضد التأويل، وإنما ضد العبث والتحريف الذي يسميه أهله تأويلاً؛ ليروج علىٰ الناس، ولذٰلك الإمام الطحاوي رحمه الله ذكر موقف أهل السُّنَّة من الصفات وقال: «ويثبتون ما أثبته الله لنفسه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل»، قال أهل العلم: نبه الطحاوي هنا إلىٰ أن الممنوع هو التحريف، وليس التأويل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣١٧٧).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٤٨٩).

ولما شرح ابن أبي العز كلام الطحاوي قال: «إن أهل السُّنَّة لا يمانعون التأويل، ولكن يمانعون من التحريف»[(١)].

وإنما سموه تأويلاً ليزينوا هـٰذا اللفظ؛ ولو قالوا: نحن نحرف؛ لَما قَبِل أحدٌ قولهم، ولذلك زخرفوه وزينوه بلفظة مستساغة، فيقولون: هـٰذا تأويل، وقد يأتون بالآيات التي فيها ذكر التأويل، مثل قوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٣٦]، ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقد يأتون ببعض الشبهات، مثل تأويل أهل السُّنَّة لقوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]، فيقيسون فعلهم علىٰ فعل أهل السُّنَّة، وفرق بينهما، فإنهم وقعوا في التحريف لا التأويل.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، فالله لم يأتِ بنيانهم من القواعد، وإنما هدم بنيانهم من القواعد، وهـٰذا ظاهر اللفظ وليس بتأويل.

وأحياناً يفسر بعض السلف كلام الله بلازمه، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فيقول بعض السلف: أي أن الله يكون معهم، وينصرهم، ويؤيدهم. فهـٰذا لازمٌ للآية، فالله قال هـٰذا؛ لأنه يريد أن يظهر أنه معهم، ويؤيدهم، وينصرهم. ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] فيفسرها السلف بقولهم: أي أن الله يعطي عطاء عظيماً.

فهـٰذا ليس تأويلاً لصفة اليد، وإنما هـٰذا تفسير للآية باللازم، مع إثبات الصفة لله تعالىٰ من جانب آخر.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥).

## خامساً: الإلحاد في أسماء الله وصفاته

الإلحاد هو الميل والانحراف، ولذٰلك يقال للقبر لحداً؛ أي: مائلاً، وألحد بمعنىٰ انحرف، والإلحاد في أسماء الله وصفاته: هو الانحراف عن الحق فيها، وله صور:

**الأولىٰ: إنكار الأسماء والصفات**، وهٰذا فعل الجهمية، فأنكروا جميع الأسماء والصفات، ولم يثبتوا منها شيئاً.

وأول من قال بنفي الصفات هم الجهمية، وعلىٰ رأسهم الجعد بن درهم (١١٨هـ). وتبعه علىٰ هٰذه العقيدة تلميذه الجهم بن صفوان (١٢٨هـ)، ونسبت إليه الجهمية. وقيل: إن الجعد أخذ هٰذه المقالة عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ـ ابن أخت لبيد بن الأعصم ـ، وأخذها طالوت من لبيد اليهودي الذي سحر النبي ﷺ[1].

**الثانية: أن تسمىٰ الأصنام بأسماء مشتقة من أسماء الله**، كما سموا «اللات» من أنثىٰ الإله، و«العزىٰ» من العزيز، وهٰذا فعل المشركين.

**الثالثة: أن يسمىٰ الله بما لا يليق**، أو يُسمىٰ بما لم يسم به نفسه؛ كتسمية النصارىٰ له بالأب، أو تسمية البعض له بالضار، فهٰذه تسمية لله لا تليق به ﷻ.

**الرابعة: أن يُسمىٰ الله تعالىٰ بأسماء مشتقة**؛ أي: أن نشتق له أسماءً، ومن ذلك اشتقاق اسم «الفاطر» من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، فالفاطر ليس اسماً لله تعالىٰ، وكذا تسميته «الفالق» اشتقاقاً من قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، أو تسميته «الفرد» فهٰذا ليس اسماً لله تعالىٰ،

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٥/ ٢٠).

وإنما يخبر عن الله بأنه فرد، وأنه فاطر، وأنه فالق، ولا نسميه بها. وفرق بين الإخبار والتسمية.

**الخامسة: تعطيل الصفات عن معانيها**، وهٰذا فعل الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية والكلابية، وسلك طريقهم الخوارج والرافضة، فإنهم عطلوا الصفات عن معانيها، وهٰذا أيضاً من الإلحاد.

**السادسة: أن يوصف الله بالنقائص**؛ كأن يوصف بأنه ينام، أو ينسىٰ، أو تأخذه السِّنَة، أو يغفل، أو غير ذلك من النقائص، فهٰذا من الإلحاد.

**السابعة: أن يوصف بما لم يصف به نفسه**؛ كأن يقال: إن الله له أنف، أو أذن، أو أنه قديم، أو ما شابه ذلك من الأوصاف التي لم يصف بها نفسه ﷻ، فهٰذا من الإلحاد. وأما الإخبار عنه بأنه «قديم» ويراد به «الأول»؛ فلا بأس، فهو ﷻ قديم منذ الأزل[1].

**الثامنة: أن يُشَبه اللهُ بخلقه**،؛ كأن يقال: إن لله جسماً كجسم الإنسان والعياذ بالله، وهٰذا فعل المجسمة والكُرَّامية والمشبهة، فهٰؤلاء يشبهون الله بخلقه.

واختلف أهل العلم في الكُرَّامية؛ فبعضهم قال: إنهم يبالغون في الإثبات، وبعضهم قال: إنهم يتجاوزن ذلك إلىٰ التشبيه، وأياً كان؛ فتشبيه الله تعالىٰ بخلقه من الإلحاد.

**الثامنة: أن يُشَبَّه خلقُه به**، كما قالت النصارىٰ: إن عيسىٰ إلٰه، وإنه ناسوت ولاهوت، وإنه ابن الله.

وكما قالت الرافضة: «وأما إذا كانت النفس اللاهوتية، فهي التي تنتقل

---

(١) وهٰذا يقال تنزلاً مع الخصم، أن الله قديم بمعنىٰ أزلي، وإلا فاسم «الأول» هو الأولىٰ بأن يسمىٰ الله تعالىٰ به، وذلك أن لفظ «القديم» لم يرد في الكتاب ولا في السُّنَّة، ولا يعرفه السلف، وإطلاق هٰذه الصفة فيها نقص لله تعالىٰ، كما أخبر الله ﷻ عن القمر فقال: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]؛ أي: البالي الذي ترك، ولذلك لا يوصف الله بالقديم، ولا يسمىٰ بالقديم من باب أولىٰ، ولكن إذا أخبرنا عنه بأنه قديم ونريد بها معنىٰ الأول أو الأزلي؛ فلا مانع، وتركها أولىٰ.

من معصوم إلىٰ معصوم بعد وفاة كل منهم، وهي الملك المسدِّد الذي جاء في أخبارنا»[١].

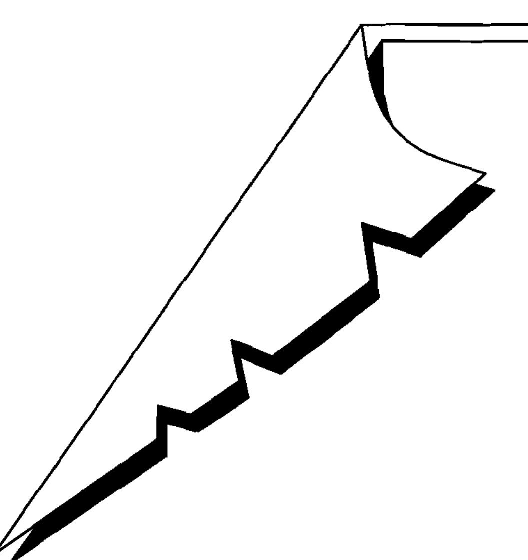
**ومن الغلو**: ما يعتقده البعض في النبي ﷺ، فيقول: «ليس له ظل»، أو «هو يسمعنا ونحن نتكلم»، أو أنه «يلقىٰ الناس بعد موته»، فهٰذا كله لا يجوز.

ومن ذلك: الميداليات المنتشرة، وفي وجهها اسم الله، وفي ظهرها اسم النبي ﷺ، فهٰذا من الغلو.

ومن ذلك: كتابة لفظ الجلالة «الله» واسم النبي «محمد» ﷺ علىٰ الجدار بجانب بعض، وهٰذا من الغلو؛ لأنه جُعل مع الله بدرجة واحدة، وهو مدخل لمن يشبه النبي ﷺ بالله، فلا بد أن يكون اسم الله في الأعلىٰ، واسم النبي ﷺ أسفل منه. وهٰذا بخلاف قول: «لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله» فهٰذه تابعة له.

❊ ❊ ❊

(١) «الدين بين السائل والمجيب» (٢/٧٦) سؤال (٢٥٦).



# الفصل الثاني

# الرد المفصل علىٰ بعض منكري الصفات







## أولاً: صفة الرحمة

### ❁ الأدلة على إثبات صفة الرحمة:

إن الله ﷻ تسمىٰ بالرحمٰن والرحيم، فقال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال النبي ﷺ: «**لما قضىٰ الله الخلق؛ كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**»(١).

وقال ﷺ: «**من لا يَرْحم لا يُرْحم**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة**»(٣).

### ❁ شبهة المنكرين لصفة الرحمة والرد عليها:

تتلخص شبهتهم في قولهم: إن الرحمة من صفات المخلوق، وفيها ضعف وخور؛ لأن الذي يرحم ينكسر قلبه، ويتأثر عندما يرىٰ ضعف المرحوم، فينخلع قلبه له، ويشعر بالضعف أمامه، وهٰذا لا يليق بالله تعالىٰ.

فهم أرادوا تنزيه الله تعالىٰ عما يكون نقصاً، والرد علىٰ كلامهم من وجوه:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (٢٣١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم بنحوه (٢٧٥٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

**الوجه الأول**: لا يلزم من الرحمة أن تكون ضعفاً وخوراً، فقد يرحم القوي، ولا مانع من هٰذا أبداً.

**الوجه الثاني**: الخالق غير المخلوق، فالرحمة بالنسبة لله، ليست كالرحمة بالنسبة للمخلوق، فلماذا يُشبه الخالق بالمخلوق؟

ولذٰلك يقول أهل العلم: كل محرف مشبه؛ لأنه ما ذهب إلىٰ التحريف إلا بعد أن وقع في قلبه التشبيه. فهٰذا المحرف نظر في صفة الرحمة، وقال: إن الله يرحم، والعبد يرحم، والرحمة في العبد خور وضعف، فإذا قلنا هٰذا؛ فالرحمة في حق الله ضعف وخور، فيلزم ـ علىٰ رأيهم ـ أن ننفي عن الله الرحمة التي هي ضعف وخور في العبد.

**الوجه الثالث**: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وهٰذا فيه ردٌ علىٰ المعتزلة الذين أنكروا صفة الرحمة، وأثبتوا الذات لله وحرفوا الرحمة وقالوا: إنها موجودة في الإنسان وهي ضعف وخور فلا نثبتها لله؛ لأنها نفس الرحمة التي في الإنسان.

ونقول: الله تعالىٰ له ذات والمخلوق له ذات، وذات الله تليق به، وذات المخلوق تليق به، وكذلك الرحمة نثبتها لله وهي تليق به، كما أن الرحمة في الإنسان تليق به، ولا فرق؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

**الوجه الرابع**: الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر، وهٰذه القاعدة يرد بها علىٰ الأشاعرة والماتريدية والكُلَّابية؛ لأنهم يثبتون بعض الصفات دون بعض، فنقول لهم: أثبتم لله بعض الصفات وهٰذه الصفات موجودة في الإنسان كذلك، فالإنسان حي وعليم وقدير ومتكلم وله إرادة وسمع وبصر، فكيف أثبتّم هٰذه الصفات لله وللعبيد؟ قالوا: نثبتها لله علىٰ ما يليق به، ونثبتها للمخلوق علىٰ ما يليق به. فنقول: قولوا كذلك في الرحمة.

**الوجه الخامس**: إن هٰذه الصفات أثبتها الله تعالىٰ وأثبتها رسوله ﷺ، فأثبتوا ما أثبته الله ورسوله، والله تعالىٰ تسمىٰ بالرحمٰن والرحيم، وقال: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»، والنبي ﷺ كذلك أثبت الرحمة لله تعالىٰ، ووصفه بها،

فقال: «**وهو أرحم الراحمين**»[١] وقال: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٢]، فنثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ.

**الوجه السادس**: الرحمة كمال للمخلوق، والخالق أولىٰ بالكمال، فالمخلوق الذي يرحم أفضل من المخلوق الذي لا يرحم، ولذٰلك يعاب علىٰ من لا يرحم، فيقال عنه: إن قلبه قاسٍ.

وقد عاب النبي ﷺ علىٰ الأعرابي لما قال له: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم! فقال ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»[٣] فهنا قالها النبي ذماً للرجل وليست مدحاً.

**الوجه السابع**: الأصل في الكلام ظاهره، والله تعالىٰ أثبت أنه يرحم فنثبت أن الله يرحم، ونأخذ بظاهر الكلام.

**الوجه الثامن**: ما وقع التحريف منهم إلا بعد أن شبهوا، فهم فرّوا من التشبيه فوقعوا في التحريف.

**الوجه التاسع**: كون العقل لا يثبت؛ فإنه لا ينفي، فلو سلمنا أن العقل لا يقبل أن الله يرحم، فهل يعني هٰذا أن العقل ينفي؟

**الوجه العاشر**: دخول العقل في الأمور الغيبية دون الرجوع إلىٰ النصوص سيفتح باباً عظيماً من الشر، فسيأتي أناس يردون عذاب القبر لأن العقل لا يثبته، ويأتينا آخر ويقول: عقلي لا يثبت الصراط، وآخر يقول: عقلي لا يقبل حوضاً بهٰذا القدر والحجم، وهكذا باب لن يغلق، فالواجب أن نرجع إلىٰ النصوص ونسلم، ونعطي العقل حجمه الطبيعي.

يقول ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ـ أي:

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٣١٧)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

بالمستحيل ـ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول»[١]، وذلك أن العقول قاصرة ومتفاوتة، بل إن أجسامنا ضعيفة، فبصرنا ضعيف، وسمعنا ضعيف، والحيوانات لها من الحواس ما هو أفضل من الإنسان، فسمعها أفضل من سمع الإنسان، ولذلك تشعر بالزلازل قبل أن يسمعها الإنسان.

ويقول النبي ﷺ عن الإنسان في قبره: «**فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[٢]، فالحيوانات تسمع هٰذه الصيحة، والبشر لا يسمعونها.

فإذا جعلنا عقولنا حكماً علىٰ ما يخبر به الله ﷻ وما يخبر به النبي ﷺ فهٰذه مصيبة عظيمة، وإذا فتحنا هٰذا الباب فسيأتي أناس ينكرون جميع الغيبيات، ولا يبقىٰ لهٰذا الدين قيمة، خاصة أن أكثر مسائل الدين تقوم علىٰ الغيبيات، فالله تعالىٰ لما مدح المتقين قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، فأول وصف مدح الله به المتقين أنهم يؤمنون بالغيب.

فإذا سلبنا هٰذه الخاصية والمزية التي ميز الله بها المؤمنين ـ وهي الإيمان بالغيب ـ؛ لم يكن للإيمان قيمةٌ أبداً، وأعظم غيبٍ هو الله ﷻ، وهناك من الناس من لا يؤمن بالله؛ لأنه لا يراه ـ والعياذ بالله ـ فبماذا نردّ عليه؟!

❊ ❊ ❊

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٦٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

## ثانياً: صفة العلم

**❁ الأدلة النقلية على إثبات صفة العلم:**

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، والآيات في إثبات صفة العلم لله كثيرة جداً.

وعن النبي ﷺ أن الخضر قال: «**يا موسىٰ ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هٰذا العصفور في البحر**»[١].

**❁ الأدلة العقلية على إثبات صفة العلم:**

**أولاً**: يستحيل إيجاد هٰذه المخلوقات العظيمة بهٰذه الدقة دون علم.

**ثانياً**: مِنَ المخلوقات مَنْ هو عالم، والله تعالىٰ خالق جميع هٰذه المخلوقات، وهو الذي وهبها العلم، ولا يهب إلا ما يملك، فالذي وهب العلماء العلم هو الله، وفاقد الشيء لا يعطيه، فمن باب أولىٰ أن يكون عالماً ﷻ، فكل صفة كمال للمخلوق، فالخالق أولىٰ بها.

**ثالثاً**: العالم أكمل من الذي لا يعلم، والله له الكمال ﷻ.

**❁ مناظرة منكري صفة العلم:**

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٤١٤).

وهٰؤلاء هم الجهمية ومن ماثلهم ممن أنكر صفة العلم لله تعالىٰ، فيقول الشافعي: ابدأ معه بصفة العلم، فقل له: هل الله يعلم الأشياء قبل حدوثها أو يعلمها بعد حدوثها؟ فإن قال: نعم يعلمها قبل حدوثها، فهو رد علىٰ نفسه؛ لأنه أثبت صفة العلم لله. وأما إن قال: لا يعلمها إلا بعد حدوثها؛ فقد كفر؛ لأنه نسب إلىٰ الله الجهل، وهو نقص.

ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قال ـ أي: الجهمي ـ: ليس له علم؛ كفر. وإن قال: لله علم محدث؛ كفر حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتىٰ أحدث له علماً فعلم. فإن قال: لله علم، وليس مخلوقاً ولا محدثاً؛ رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل السُّنَّة»[1].

فالإمام أحمد قسم المسألة إلىٰ ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: أن ينفي عن الله العلم، وهٰذا يكفر؛ لأنه نسب إلىٰ الله الجهل.

**القسم الثاني**: أن يقول: إن لله علماً ولكنه علم محدث، وهٰذا يكفر أيضاً؛ لأنه نسب الله إلىٰ الجهل في وقت من الأوقات.

**القسم الثالث**: أن يقول إن لله علماً ليس حادثاً ولم يُخْلق، فهٰذا قول السلف؛ وذلك أنهم يثبتون لله تعالىٰ العلم ولا يقولون: إنه حادث أو مخلوق؛ لأن علمه أزلي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

(١) «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة»، ص٤٠.

## ثالثاً: صفة الاستواء

### ❁ الأدلة علىٰ إثبات صفة الاستواء لله تعالىٰ:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، وغيرها في سبعة مواضع من القرآن.

### ❁ معنىٰ الاستواء:

**قال أهل اللغة**[1]: يأتي الاستواء في لغة العرب علىٰ أربعة معانٍ:

**المعنىٰ الأول: العلو والارتفاع**، وهٰذا إذا تعدىٰ الفعل بـ«علىٰ»، مثل قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾.

**المعنىٰ الثاني: القصد**، وهٰذا إذا تعدىٰ بـ«إلىٰ»، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١].

**المعنىٰ الثالث: التساوي**، وهٰذا إذا تعدىٰ الفعل بالواو، كما لو قيل: استوىٰ الجدار والجدار.

**المعنىٰ الرابع: النضج والكمال**، وهٰذا إذا أطلق الفعل ولم يتعد إلىٰ حرف، مثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤].

**أما استواء الله علىٰ عرشه:** فهو علوه وارتفاعه بما يليق به؛ لأنه تعدىٰ بـ«علىٰ»، وهو غير محتاج له؛ لأنه القيوم القائم بذاته المقيم لغيره، فهو غير

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٣٤٠)، «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٤٠٨).

محتاج لأحد. والعرش مخلوق من مخلوقات الله تعالىٰ، وفي يوم من الأيام لم يكن العرش موجوداً.

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ـ تعالىٰ ذكره ـ فوق عرشه، نؤمن بما وردت به السُّنَّة من صفاته»(١).

فالله تبارك وتعالى غير محتاج إلىٰ العرش، وهو مستو عليه، كما أن السماء فوق الأرض، ومع هٰذا فهي غير محتاجة إليها وإن علت، فليس كلُ ما كان فوقَ شيءٍ فإنه يكون محتاجاً إليه.

وأما من يقول: إن الله محتاج إلىٰ العرش؛ فإنه يصدق عليه قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧]، فهو لم يقدر الله حقَّ قدره؛ لأنه ما عرف الله حق المعرفة.

**وقالت الجهمية والمعتزلة والخوارج والشيعة والأشاعرة وجميع من خالف أهل السُّنَّة:** استوىٰ بمعنىٰ «استولىٰ» أو «قصد» أو أي معان أخرىٰ يقبلها العقل.

واستدلوا لهٰذه المسألة: بأن العقل لا يقبل هٰذه الصفة.

وقالوا: إن هٰذا هو قول العرب، واستدلوا بقول الشاعر:

**استوىٰ بشر علىٰ العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق**

وهٰذا الذي استوىٰ هو بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان، وهو الذي أخذ العراق من مصعب بن الزبير، فاستولىٰ عليها، وهٰذه هي لغة العرب، فيكون معنىٰ الاستواء بالنسبة لله هو الاستيلاء، هكذا قالوا.

### ❁ الرد علىٰ من أنكر الاستواء:

**الوجه الأول:** قال ابن الأعرابي: «أرادني أحمد بن أبي دُؤاد ـ رأس المعتزلة في زمنه ـ أن أجد له في لغة العرب ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٣٤).

بمعنىٰ استولىٰ. فقلت له: والله ما أصبت هـٰذا»[١]، فـ«استوىٰ» بمعنىٰ «استولىٰ» غير معروف عند العرب.

**الوجه الثاني**: أن هـٰذا تفسير لكلام الله بمجرد الرأي، ولا دليل علىٰ هـٰذا التفسير.

**الوجه الثالث**: قال أهل السُّنَّة: الله مالك كل شيء، وتخصيص العرش ليس له معنىٰ، فعندما يقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ أي: استولىٰ، فهـٰذا الكلام ليس له معنىٰ؛ لأن العرش والسماوات والأرض وكل شيء تحت ملكه ﷻ، فلماذا يخصص العرش إذاً؟

**الوجه الرابع**: أجمع السلف علىٰ أن الله تعالىٰ مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، ونقل الإجماع علىٰ هـٰذا: ابن عبد البر، والقرطبي، وابن بطة العُكْبُري، وابن تيمية، وابن القيم[٢].

**الوجه الخامس**: العرب لا تقول: استولت السفينة علىٰ الجبل، كما قال الله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود: ٤٤]، فالعرب لا تفسره بالاستيلاء ولا تقول به.

**الوجه السادس**: يلزم من هـٰذا التفسير محاذير، منها:

١ . أن الله مستوٍ علىٰ الأرض؛ لأنه مستولٍ علىٰ الأرض، وأنه مستوٍ علىٰ البشر؛ لأنه مستولٍ عليهم، وهكذا، وهـٰذا باطل لا يجوز.

٢. الاستيلاء لا يكون إلا بعد مغالبة، فيكون أحدٌ أخذ العرش من قبل ثم استولىٰ الله عليه، ومعنىٰ هـٰذا أن هناك مغالباً لله جلا في علاه، وهـٰذا باطل؛ لأن الله ليس له غالب، ومن ذا الذي يغالب الله حتىٰ يأخذه من الله ثم يستولي الله عليه؟ تعالى الله عن هـٰذا علواً كبيراً.

**الوجه السابع**: هـٰذا التفسير مخالف لظاهر اللفظ، فالله لم يقل: استولىٰ، وإنما قال: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، والأصل في الكلام الظاهر.

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٤٠٦).

(٢) انظر: «الإبانة» لابن بطة (٣/ ١٣٦)، «تفسير القرطبي» (٧/ ٢١٩)، «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢١٩)، «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، ص١٠٧.

**الوجه الثامن**: النبي ﷺ والصحابة ﷺ لم يصرفوه عن ظاهره، فلم يقل النبي ﷺ يوماً لأصحابه عندما قرأ عليهم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] أن معناها استولىٰ، فلم يصرفه عن ظاهره، ولا صحابته ﷺ، بل تركوه علىٰ ظاهره، وفهموه وعلموا معناه وآمنوا به.

**الوجه التاسع**: عند أهل السُّنَّة قاعدة، وهي: لا تقل بقول إلا ولك فيه إمام، كما قال الإمام أبو زيد القيرواني رحمه الله: «ليس لأحد أن يحدث قولاً أو تأويلاً لم يسبقه إليه سلف»[١]، فمن أئمتكم الذين سبقوكم إلىٰ هٰذا القول؟

**الوجه العاشر**: أن هٰذا البيت الذي بنيتم عليه هٰذا الاعتقاد عليه ملاحظات، وهي:

**أولاً**: لا يُعرف قائله.

**ثانياً**: نُسب إلىٰ الأخطل، وهو غير موجود في ديوانه.

**ثالثاً**: الأخطل نصراني، فكيف تبنون عقيدة من بيت شعر منسوب إلىٰ شاعر نصراني، وتتركون الكتاب والسُّنَّة وكلام السلف ولغة والعرب؟ وهٰذا يدل علىٰ أنهم يبحثون عن أي شيء يتعلقون به لرد هٰذه العقيدة.

**رابعاً**: يمكن أن يُقلب البيت عليكم، فيقال:

**بشر قد استولىٰ علىٰ العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق**

وهو في الحقيقة استولىٰ علىٰ العراق.

خامساً: يمكن أن يحمل المعنىٰ علىٰ العلو علىٰ عرش العراق، فهو علا عليه حقيقة، فإنه جلس علىٰ عرشها، وصعد عليه وعلا؛ لأن بشر بن مروان حكم العراق.

**الوجه الحادي عشر**: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالآية تدل علىٰ أنه استوىٰ علىٰ العرش بعد خلق السماوات والأرض؛ لأنه قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾.

---

(١) «النوادر والزيادات» (١/ ٥).

وقال النبي ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه علىٰ الماء**»[(١)]؛ أي: عرش الله، فنسب العرش إلىٰ الله، وهٰذه نسبة ملك.

**ووجه الدلالة من الآية والحديث**: أن الله تعالىٰ خلق العرش قبل خلق السماوات والأرض، وكان هٰذا العرش علىٰ الماء، ولم يعلُ عليه، ثم بعد ما خلق السماوات والأرض استوىٰ علىٰ العرش؛ أي: علا عليه وارتفع، وقد نسبه إليه ولم ينسبه إلىٰ غيره، هٰذا تفسير أهل السُّنَّة.

وأما علىٰ تفسير المخالفين لهم: فكان العرش في ملك الله تعالىٰ، ثم بعدما خلق الله السماوات والأرض استوىٰ عليه؛ أي: استولىٰ عليه، فكأن هناك من أخذ هٰذا العرش ثم استولىٰ الله عليه بعدما خلق السماوات والأرض؛ أي: كأن هناك من يغالب الله في هٰذا الملك وينازعه، وهٰذا باطل من القول.

## ❁ هل يقال: كيف استوىٰ؟

قال عبد الله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت عند مالك بن أنس، فدخل رجل، فقال: يا أبا عبد الله! ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟ فأطرق مالك ـ أي: سكت ـ فأخذته الرحضاء ـ أي: نزل منه العرق ـ، ثم رفع رأسه فقال: «الرحمٰن علىٰ العرش استوىٰ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) تقدم تخريجه ص٦٢.
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ١٠١).

# رابعاً: صفة العلو

## ❁ أقسام العلو:

ينقسم العلو إلىٰ ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: علو قهر**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

**القسم الثاني: علو قدر**، كما قال ﷻ: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]؛ أي: قدره عالٍ، ويقال: فلان قدره عالٍ؛ أي: منزلته عالية.

وهٰذان القسمان اتفق عليهما جميع المسلمين، فكل من ينتسب إلىٰ هٰذا الدين يثبت هذين القسمين، فلا أحد ينكر علو القهر أو علو القدر بالنسبة لله تعالىٰ.

**القسم الثالث: علو المكان**، وهٰذا الذي حصل فيه الخلاف بين أهل السُّنَّة مع الفرق الأخرىٰ.

قال امرئ القيس:

مِكَرٍ مِفَرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

أي: نزل من علو، وهٰذا في اللغة.

## ❁ الأدلة علىٰ إثبات صفة العلو:

أثبت أهل السُّنَّة صفة العلو من أربعة أوجه: من القرآن، والسُّنَّة، والعقل، والفطرة.

**أما من القرآن**: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال مخاطباً عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وهٰذه الآية لا تدل علىٰ أن الله داخل السماء، وإنما تدل علىٰ أنه فوق السماء، وذلك أن للآية معنيين:

**المعنىٰ الأول**: أن قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: في العلو، وذلك أن كلَّ ما علا فهو سماء، والعرب تسمي السقف سماءً، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنفال: ١١] والماء لا ينزل من السماء، وإنما ينزل من السحاب، ولكن سمىٰ السحاب سماء؛ لأنه في العلو.

ومن ذلك قول صاحب الصبرة حين مرَّ عليه النبي ﷺ فأدخل يده في صبرة طعام فنالت أصابعه بللاً، فقال «**ما هٰذا يا صاحب الطعام؟**». قال: أصابته السماء يا رسول الله[1]؛ أي: أصابه المطر، فالعرب تسمي كل ما علا سماءً، فيكون معنىٰ الآية: أأمنتم من في العلو، وليس المراد السماء المخلوقة.

**المعنىٰ الثاني**: أن «في» بمعنىٰ «علىٰ»، وهٰذا موجود في لغة العرب، فأحرف الجر تتناوب، ومنه قول الله تعالىٰ عن فرعون أنه قال للسحرة لما آمنوا: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وفرعون إنما صلبهم علىٰ جذوع النخل، ولم يصلبهم داخلها.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وهو يسعىٰ علىٰ الأرض؛ أي: فوقها، وليس داخلها.

ومنه قوله: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] ونحن نمشي علىٰ مناكبها.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [النوح: ١٦] والقمر ليس في السماء، وإنما هو قريب منها ملاصق لها، وتكون «في» بمعنىٰ «علىٰ».

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومع هٰذا كله؛ اتفق الجميع علىٰ أن السماوات مخلوق صغير بالنسبة لله تعالىٰ، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، والذي تكون السماوات بيمينه كيف يكون هو داخلها؟ فالله أعظم من ذلك كله، وهو بكل شيء محيط.

وقد جاء في الحديث: **«ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ الحلقة»**(١)، ولذٰلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأما العرش فإنه أعظم من الكرسي بكثير، والله أعظم من العرش وهو فوق العرش ﷻ، فلا يمكن أن تكون السماوات محيطة بالله وهو بهٰذه العظمة.

**قال أهل السُّنَّة**: هو فوق السماء. ولم يقل أحد منهم: إنه داخل السماء، بل من قال: إنه داخل السماء؛ فهو كافر، وإنما أثبتوا علو الله تعالىٰ، وأنه فوق السماء، فالجميع متفق علىٰ أن الله ليس داخل السماء.

**والدليل من السُّنَّة علىٰ إثبات علو الله**: حديث الجارية المشهور، وفيه أن معاوية بن الحكم السلمي كانت له جارية ترعىٰ غنماً له، ثم جاء ذئب فأخذ شاةً من الغنم، فأخبرت الجارية سيدها معاوية، فغضب، فلطمها، ثم ندم، فأراد أن يعتقها تكفيراً لخطيئته، ولكنه آثر أن يستشير النبي ﷺ، فأتىٰ النبي ﷺ، وذكر له القصة، فقال له النبي ﷺ: **«ائتني بها»** فأتىٰ بها إلىٰ النبي ﷺ فقال لها: **«أين الله؟»** قالت: في السماء. قال: **«من أنا؟»** قالت: أنت رسول الله. فالتفت النبي إلىٰ معاوية وقال له: **«أعتقها فإنها مؤمنة»**(٢).

**والشاهد من الحديث**: إقرار النبي ﷺ لها، ولو لم يكن الله في السماء؛ لأنكر عليها النبي ﷺ، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز، ولو كان

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٨)، والطبري بنحوه في «جامع البيان» (٥/ ٣٩٩)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص٣١.

منكراً لما سكت عنه النبي ﷺ؛ لأنه لا يسكت عن منكر ﷺ. وهٰذه تسمىٰ بالسنة التقريرية.

**ومن الأدلة** كذلك قول النبي ﷺ للصحابة في خطبة حجة الوداع: «**فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلىٰ السماء وينكتها ـ يخفضها ـ إلىٰ الناس: «**اللَّهُمَّ اشهد**» ثلاث مرات[1].

فإثبات النبي ﷺ لعلو الله جاء بالقول، والفعل، والتقرير.

**ومن الأدلة** كذلك أن أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت تفتخر علىٰ أمهات المؤمنين وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالىٰ من فوق سبع سماوات[2]، فأثبتت أن الله فوق سبع سماوات سبحانه وتعالى.

هٰذه بعض الأدلة من السنة، ومن أراد التفصيل في الأدلة فليرجع إلىٰ كتاب «العلو» للإمام الذهبي رحمه الله، فقد سرد الأدلة في ذلك.

**وقد أجمع السلف** علىٰ إثبات العلو لله تعالىٰ، نقله ابن عبد البر، والقرطبي، وغيرهما.

**وأما العقل**[3]؛ فإنه يثبت علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه، وذلك أن العلو أكمل من السفل، ولما دخل عبد المطلب علىٰ أبرهة حين جاء ليهدم الكعبة وكان أبرهة علىٰ عرشه، فاحتار أبرهة، ماذا يفعل؟ هل يجلسه معه علىٰ عرشه؛ لأنه سيد قومه؟ أو يكلمه وهو جالس علىٰ عرشه؟ وفي هٰذا إهانة لعبد المطلب وهو سيد قومه. ثم رأىٰ أبرهة أن ينزل من عرشه ويجلس معه في الأسفل.

---

(١) تقدم تخريجه ص٣١.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٤)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) وذلك أنه لا تعارض بين النص الصحيح والعقل الصريح، فلا يلغىٰ العقل تماماً، بل يكون دليلاً، ولا يعارض به الكتاب والسُّنَّة؛ لأن العقول متفاوتة. وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاباً أسماه «درء تعارض العقل والنقل»، وقرر فيه هٰذه المسألة.

فالعقل يقول: إن منزلة العلو أفضل من منزلة السفل، والعلو هو اللائق بالله تعالىٰ، وكل صفة كمال للمخلوق فالخالق أولىٰ بها إن كانت تليق به.

**وأما الفطرة**؛ فهي أيضاً تثبت العلو لله تعالىٰ، فكل داعٍ يتجه إلىٰ السماء في دعائه، وهٰذه فطرة جعلها الله في الإنسان.

وفي الحديث المشهور: أن سليمان ﷺ خرج ببني إسرائيل يستسقي لهم، فلما خرجوا إلىٰ مكان الاستسقاء؛ فإذا نملة قد جعلت ظهرها إلىٰ الأرض ورفعت قوائمها إلىٰ السماء، فقال سليمان: ارجعوا، سقيتم بدعوة غيركم[1]. فالنملة مفطورة علىٰ أن ترفع يديها إلىٰ السماء.

وسئل إمام الحرمين الجويني[2] عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فقال: «كان الله ولا عرش»؛ لأنه ينفي الاستواء.

فقال أبو جعفر الهمذاني: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ قال الجويني: ما تريد بهٰذا القول؟ وما تعني بهٰذه الإشارة؟ قال: ما قال عارف قط: يا رباه! إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق. فهل لهٰذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت، قال أبو جعفر، وبكيت وبكىٰ الخلق. فصاح الأستاذ ـ أي: الجويني ـ: يا للحيرة، وخرق ما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠١).

(٢) وهو من أئمة الأشاعرة، ولكنه رجع إلىٰ السُّنَّة في آخر حياته. انظر: ص١٥٩ من هٰذا الكتاب.

والأشاعرة في العلو علىٰ قسمين:

**الأول: المتقدمون**، وهٰؤلاء لا يثبتون علو الله تعالىٰ، وإنما يقولون: الله لا فوق ولا تحت، ولا متصل ولا منفصل، ولا داخل ولا خارج، ولا أمام ولا خلف، ولا يمين ولا شمال، فيتحرجون من إثبات مكان لله تعالىٰ.

**الثاني: المتأخرون** وهٰؤلاء قالوا: إن الله في كل مكان.

والفرق بينهما أن المتقدمين ينفون المكان، والمتأخرين جعلوه في كل مكان.

كان عليه وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا يا حبيبي الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة. فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني[١].

**وقال البعض**: إن التوجه في الدعاء إلىٰ السماء ليس لأن الله في السماء، وإنما لأن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

والجواب عن هٰذا القول من وجوه:

**الوجه الأول**: قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، ولذٰلك يسن للداعي أن يستقبل القبلة في دعائه، والنبي ﷺ توجه إلىٰ القبلة في غزوة بدر[٢].

**الوجه الثاني**: قبلة الصلاة تحتاج إلىٰ بحث، بينما الدعاء فطري لا يحتاج إلىٰ بحث.

**الوجه الثالث**: قبلة الصلاة قد تنسخ، ونسخت، فكان الناس يستقبلون بيت المقدس في أول الأمر، ثم نسخت إلىٰ الكعبة، بينما قبلة الدعاء لا تنسخ أبداً، فهي إلىٰ السماء دائماً.

**الوجه الرابع**: لا دليل علىٰ هٰذا القول سوىٰ الدعوىٰ الفارغة.

### ❁ أنواع الأدلة النقلية علىٰ إثبات العلو:

**الأدلة النقلية ـ سواء في الكتاب أو في السنة ـ أنواع، منها:**

**أولاً**: **إثبات الاستواء**، وذلك أن العرش فوق السماوات، وقد ثبت في الكتاب والسنة أن الله فوق العرش، فدل هٰذا علىٰ أن الله في العلو فوق عرشه، فكل النصوص التي جاء فيها إثبات الاستواء؛ فهي تدل علىٰ علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه.

---

(١) ذكرها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٧٥)، «تاريخ الإسلام» (٧/ ٣٣٣)، «العلو»، ص٢٥٩.
وقال العلامة الألباني ﷺ: «إسناد هٰذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ». «مختصر العلو»، ص٢٧٧.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣)، من حديث عمر ﷺ.

ثانياً: **الفوقية**، فكل النصوص التي جاء فيها اشتقاق «فوق» بالنسبة لله تعالىٰ فهي تدل علىٰ علو الله علىٰ خلقه، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

ثالثاً: **العروج إلى الله**، كما في قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]؛ أي: تصعد إليه.

رابعاً: **الصعود إلى الله**، كما في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

خامساً: **نزول القرآن من الله**، كما قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١] ، والنزول يكون من العلو.

سادساً: **أنه في السماء**، كما قال ﷻ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛ أي: فوق السماء.

سابعاً: **رفع الأيدي إلىٰ السماء في الدعاء**، كما جاء في السنة في حديث الجارية فهو يدل علىٰ علوه ﷻ.

ثامناً: **الإشارة إلىٰ السماء**، كما في حديث حجة الوداع المتقدم.

تاسعاً: **نزول الله إلىٰ السماء الدنيا في كل ليلة**، والنزول لا يكون إلا من العلو.

## خامساً: صفة المعية

### ❁ الأدلة على إثبات المعية من الله:

قال الله جل في علاه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

ويقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال لموسىٰ وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

### ❁ أقسام المعية:

**القسم الأول: معية عامة**، وهٰذه لا فضل لأحد فيها، وهي تعم المسلم والكافر، والتقي والفاجر، والإنس والجن، وتسمىٰ بالمعية العلمية؛ أي: معنا بعلمه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فالله تعالىٰ معنا بعلمه لا بذاته.

وكذلك في الآية الأخرىٰ، وهي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

قال الإمام أحمد: «بدأت بالعلم، وختمت بالعلم».

فالله تعالىٰ يريد أن يخبرنا أنه عليم بأفعالنا، وهو معنا بعلمه لا بذاته سبحانه وتعالى.

وهٰذه المعية لا يُمدح بها أحد؛ لأنها معيةُ إحاطة، فالله محيط بكل شيء، وكل شيء يراه ويعلمه.

**القسم الثاني: معية خاصة بوصف،** كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهٰذا القسم من المعية يتضمن المحبة والنصرة والتأييد من الله تعالىٰ.

ومن ذلك حديث: «**من عادىٰ لي ولياً؛ فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه**»[1] فكما أن المحبة عامة وخاصة فكل مؤمن فهو من أولياء الله، ومن تقرب إلى الله بالنوافل نال المحبة الخاصة، وأولياء الله تعالىٰ هم المتقون الصابرون المحسنون، فالله تعالىٰ معهم، وهي معية تتضمن النصرة والتأييد.

**القسم الثالث: معية خاصة بعين،** وهي أيضاً تتضمن النصرة والتأييد والمحبة، وتزيد أن فيها التخصيص بالاسم، وقد ذكرها الله مرتين في كتابه:

**الأولىٰ**: لما قال موسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٥، ٤٦]، مع أن الله مع فرعون ومع غيره المعية العلمية العامة، ولكن هٰذه تضمنت النصرة والتأييد من الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

**الثانية**: لما قال النبي ﷺ لأبي بكر: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[(١)]، وفي الآية ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، مع أن كفار مكة كانوا علىٰ باب الغار، حتىٰ قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. وهي معية النصرة والتأييد من الله تعالىٰ.

واتفق الجميع علىٰ أن الله معنا وهو فوق عرشه ﷻ في العلو، فلا تنافي بين المعية وبين علو الله تعالىٰ.

وأما أهل الحلول الذين يقولون: يحل الله في عباده، فيقولون هنا: إن الله معنا بذاته ـ والعياذ بالله ـ وأنه مشارك للخلق، وأنه ينزل إليهم بذاته، بل تجاوز بعضهم فقال: إن الله يحل فيه، وقالوا بوحدة الوجود والاتحاد، حتىٰ قال قائلهم:

**وَمَا الْكَلْبُ وَالخِنْزِيرُ إِلَّا إِلٰهُنا وَمَا اللَّهُ إِلَّا رَاهِبٌ فِي كَنِيسَةِ**

وقال الحلاج: أنا الله. ؛ أي: أن الله حلّ فيه ـ والعياذ بالله ـ، وهٰذا كله كفر وزندقة، وأفتىٰ علماء المسلمين في الأندلس في ذلك الوقت بأن هٰذا الإنسان كافر، فأمر به فقتل مرتداً.

وأما المدافعون عن الحلاج فهم علىٰ قسمين:

**الأول**: وهم الذين وقفوا معه في هٰذه الكلمة، وقالوا: إنها حق، ووافقوه بالقول بوحدة الوجود، وأن الله يحل في المخلوقين.

**الثاني**: وهم الذين يعتذرون له، فقالوا: إنه وصل إلىٰ مرحلة من مراحل الاتصال بالله حتىٰ غاب عن نفسه، ويسمىٰ عندهم الفناء، وجاءت هٰذه الشطحة فقال: أنا الله، وعقله مسلوب، ولا يؤاخذ الإنسان في مثل هٰذه الحالة.

ومما يذكر في قتله: أنه لما خرج الدم من جسده علىٰ الجدار كتب «الله»!! وهي قصة باطلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: «لما قُتل لم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات، وكل من ذُكر أن دمه كتب علىٰ الأرض اسم الله، وأن دجلة[١] انقطع ماؤها، أو غير ذلك، فإنه كاذب. وهٰذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق، وإنما وضعها الزنادقة وأعداء الإسلام»[٢].

ولو صح هذا لكان عيباً؛ لأن الدم المسفوح نجس، ولا يكتب اسم الله بالنجاسات إلا كافر.

وقال الآخر منهم: «سبحاني.. سبحاني ما أعظم شاني»[٣].

فهٰؤلاء الحلولية يرون أن الله في كل شيء وفي كل مكان، وهو معهم بذاته، وهٰذا الكلام باطل.

**وأما أهل السُّنَّة** فيقولون: إن الله في العلو بائن من خلقه، وهو معهم بعلمه، ولا يخوضون في هٰذه المسألة أكثر من ذلك؛ لأنها من أمور الغيب، والصحابة ﷺ تلقوها هكذا ولم يخوضوا، وما علينا إلا التسليم بها، والإيمان بها علىٰ ظاهرها.

ومثل هٰذا من يقول: سافرنا والقمر معنا، مع أن القمر في السماء، وهٰذا في كلام العرب.

❊ ❊ ❊

(١) نهر دجلة.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١١٠).

(٣) رويت عن أبي يزيد البسطامي، واسمه طيفور بن عيسىٰ، توفي سنة (٢٦١هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٧)، «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦)، «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣٦١).

## سادساً: صفة النزول

### ❁ دليل صفة النزول:

قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[١].

وهٰذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ، ويسمىٰ بحديث النزول، وفيه إثبات نزول الله تعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وذلك في كل ليلة.

ولا يقال: هل تحيط السماوات به أو لا؛ لأن السماوات مخلوق من مخلوقات الله، وهو ـ سبحانه ـ بكل شيء محيط.

وكذا لا يقال: هل يفرغ العرش منه أو لا؛ لأن هٰذا من أمور الغيب التي لا يجوز أن نخوض فيها.

### ❁ شبهة منكري النزول:

قال أهل التعطيل: النازل أمره أو رحمته أو ملائكته.

وهٰؤلاء لم يثبتوا العلو فضلاً عن أن يثبتوا النزول، وأولوا الحديث وقالوا: هناك محذوف، وتقديره: تنزل ملائكة ربنا، أو ينزل أمر ربنا، أو تنزل رحمة ربنا، أو تنزل نعمة ربنا، والله لا ينزل؛ وذلك لأمرين:

**الأول**: إن هٰذا فيه تشبيه بالمخلوق، وهٰذه من صفات المخلوق[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) واشتهرت حادثة عن ابن بطوطة أنه دخل الشام، فوجد رجلاً يخطب في المسجد =

**الثاني**: كيف ينزل في آخر الليل، وقد يكون آخر الليل في بلد هو نهار في بلد آخر وهكذا، فيلزم من هٰذا أن الله دائم النزول والصعود.

## ❁ الرد علىٰ من أنكر النزول:

**أولاً**: إنهم ما وقعوا في التعطيل إلا بعد أن وقعوا في التشبيه، فنزول الله يليق به، ونزول المخلوق يليق به، فلماذا يقيس الإنسان ربه علىٰ نفسه؟ فالخالق غير المخلوق، فالخالق يسمع جميع الخلائق في لحظة واحدة، بينما المخلوق لا يمكنه أن يسمع اثنين في آن واحد.

والصحابة ﷺ فهموا هٰذا الحديث علىٰ ظاهره، ولم يبحثوا في هٰذا الأمر، بل اهتموا في المحصلة من هٰذا الحديث «**من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأعطيه**»، فيجب علىٰ المسلم أن يتقي الله في هٰذه القضية، ولا يقيس الله علىٰ نفسه، فنقول: ينزل نزولاً يليق به ﷻ، ولا نخوض في التفاصيل؛ لأن الله غيب بالنسبة لنا.

**ثانياً**: إذا قيل: إن النازل أمره؛ فإن أمره نازل في كل وقت، وكذا الرحمة في كل وقت.

**ثالثاً**: إذا قيل إن النازل أمره أو رحمته إلىٰ سماء الدنيا، فما الفائدة إذا نزلت إلىٰ السماء الدنيا؟ فهي لم تصل إلىٰ العبيد.

**رابعاً**: إن جاز أن يكون ملكاً؛ فكيف جاز أن يقول: «**من يدعوني**

---

= ويقول: إن الله ينزل كنزولي هٰذا، ثم نزل من المنبر، ثم صعد مرة ثانية. قال ابن بطوطة: فسألت الناس من هٰذا؟ فقالوا: هٰذا ابن تيمية. ومن هٰذا قال أهل العلم: إن ابن بطوطة متهم بالكذب؛ لأنه كذب علىٰ ابن تيمية، فابن تيمية يكفر من يشبه الخالق بالمخلوق، وكتبه مملوءة بذلك.

وقال بعضهم: لعله كُذب علىٰ ابن بطوطة، فهو لا يعرف ابن تيمية، فقيل له: هٰذا ابن تيمية. ولم ينقل هٰذا القول إلا ابن بطوطة، وتلاميذ ابن تيمية لم ينقلوا هٰذا عنه، بل والمخالفون لابن تيمية لم ينقلوا عنه هٰذا، ولو وقع لانتشر وقال بعضهم: إن ابن تيمية كان في ذاك الوقت في السجن لما دخل ابن بطوطة الشام.

**فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له**»، فلا يمكن أن يكون القائل ملكاً، وإنما القائل الله ﷻ.

**خامساً**: إن هٰذا مخالف لظاهر الحديث، والواجب أن نؤمن به كما جاء عن النبي ﷺ.

**سادساً**: كيف ينزل أمره أو رحمته من العلو وهو ليس في العلو ـ علىٰ قولهم ـ، والمفترض أن تأتي من أي مكان؛ لأنه في كل مكان علىٰ زعمهم.

# سابعاً: إثبات رؤية المؤمنين لربهم

## ❁ أدلة إثبات الرؤية:

قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وفسر النبي ﷺ ذلك عندما تلا هٰذه الآية فقال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ نادىٰ مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجِزَكُمُوه. فيقولون: وما هو؟ ألم يُثقِّل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا من النار؟. قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم**».

وقال تعالىٰ عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، قال الإمام الشافعي: «لما حجب الله قوماً بالسخط؛ دل علىٰ أن قوماً يرونه بالرضا»[١]، وهٰذا هو مفهوم المخالفة.

وقال تعالىٰ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، ووجه الدلالة: أنهم ينظرون إلىٰ كل شيء متاح، ومنه النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ.

وقال رسول الله ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر، لا تضامّون في رؤيته**»[٢]، وهٰذا الحديث متواتر.

## ❁ مَنْ أنكر الرؤية:

هناك من أنكر رؤية الله تعالىٰ يوم القيامة، وهم المعتزلة والخوارج

(١) «إعانة الطالبين» (١/ ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٩)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير ؓ.

والرافضة، وأما الأشاعرة فإنهم يثبتون الرؤية علىٰ استحياء؛ فهم يثبتون الرؤية، وينفون عن الله الجهة، وفي النهاية يثبتون الرؤية القلبية، ولا يثبتون رؤية العين، فهم إلىٰ نفاة الرؤية أقرب منهم إلىٰ مثبتيها.

## ❁ أدلة منكري الرؤية:

١. قالوا: إن أثبتنا الرؤية؛ فهٰذا يعني أن الله جسم، وإذا قلنا: إن الله جسم فإن الأجسام متماثلة، وقد شبهنا الله بخلقه.

٢. في إثبات الرؤية إثباتُ الحيّز أو الحد لله تعالىٰ، ونحن ننزه الله عن هٰذا، فالله ليس في جهة، وليس له حيّز.

٣. قول الله تعالىٰ لموسىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهٰذا نص صريح في أن الله تعالىٰ لا يُرىٰ[1].

٤. قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وإذا قيل: إن الله يُرىٰ فمعناه أنه تدركه الأبصار، وهٰذا مخالف للنص.

٥. قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]؛ أي: منتظرة، وذلك أن «ناظرة» تأتي في اللغة بمعنىٰ منتظرة، ومثله قول الله تعالىٰ: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]؛ أي: انتظرونا.

وإن كانت بمعنىٰ«نظر العين»؛ فبتقدير محذوف «إلىٰ ثواب ربها ناظرة».

## ❁ الرد علىٰ منكري الرؤية:

**أولاً**: الألفاظ التي وردت «الجسم، الحيز، الحد... إلخ» هي ألفاظ محدثة لا يعرفها السلف، ولم تذكر في القرآن ولا في السنة نفياً أو إثباتاً، والأصل أن تترك هٰذه الألفاظ؛ لأنها محدثة.

**ثانياً**: هٰذه الألفاظ تحتمل حقاً وباطلاً، ولا بد من الاستفصال فيها، فلا نثبت ولا ننفي حتىٰ نعلم المراد من هٰذه الألفاظ.

---

(١) ذكر ذلك الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٤٦).

فلفظ «الجسم» بالنسبة لله إن أراد به أنه جسم كأجسام المخلوقين؛ فهٰذا يُنفىٰ عن الله تعالىٰ، فالله ليس كمثله شيء، وإن أراد أنه جسم بمعنىٰ أن له صفات؛ فهٰذا نثبته لله؛ لأن الله له صفات.

وكذا لفظ «الجهة»؛ فإن قصد أن الله في جهة تحيط به؛ فهو منفي عن الله تعالىٰ، وإن أريد أنه في العلو؛ فهٰذا نثبته لله.

ولفظ «الحيز» كذلك، فإن أريد أنه في حيز تحيط به الأشياء فهٰذا باطل؛ لأن الله بكل شيء محيط، وإن أريد أنه في حيز؛ أي: فوق سماواته؛ فهٰذا حق.

فهٰذه الكلمات تحتمل حقاً وباطلاً، فلا نثبتها ولا ننفيها حتىٰ نتبين المراد.

**ثالثاً**: قوله ﷻ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ليس فيه التأبيد؛ أي: النفي المؤبد، وإنما هي نفي مؤقت؛ أي: في تلك الحال، وذلك أن «لن» في اللغة لا تفيد التأبيد، وقد قال ابن مالك رحمه الله في الكافية[1]:

**وَمَنْ نَفَىٰ بِلَنْ مُؤَبَّداً   فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا**

قال ابن هشام: «ولا تفيد لن توكيدَ النفي، خلافاً للزمخشري في كشافه، ولا تأبيدَه خلافاً له في أنموذجه، وكلاهما دعوىٰ بلا دليل»[2].

ومن ذلك قول الله تعالىٰ عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]؛ أي: الموت، ومع هٰذا قال الله تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فهم لم يتمنوه فحسب، بل طلبوه.

**رابعاً**: لو كانت الرؤية مستحيلة لما سألها موسىٰ عليه السلام، وذلك أن موسىٰ أعلم بالله تعالىٰ، فبيّن الله له أن هٰذا لا يكون في الدنيا، وإنما في الآخرة.

**خامساً**: لو كانت الرؤية مستحيلة؛ لقال الله: «لا أُرىٰ».

**سادساً**: أن الرؤية تحققت للجبل، فإن الله تجلىٰ للجبل، فلما رأىٰ

---

(١) هي أرجوزة حوت سبعة وخمسين وسبعمئة وألفين من الأبيات، وهي غير الألفية المشهورة.

(٢) «مغني اللبيب»، ص٣٧٤.

الجبل ربّ العزة اندك، قال الله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هٰذا الجبل القوي لم يتحمل الرؤية، كما روىٰ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره**»[(١)]، فالله تعالىٰ منع موسىٰ من الرؤية رحمةً لا حرماناً.

**سابعاً**: النفي وإن كان غير مؤبد إلا أنه محمول علىٰ الدنيا، وفي الآخرة شأن آخر.

**ثامناً**: قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ليس فيه نفي الرؤية، وإنما فيه نفي الإدراك، وهو كذلك، فالله تعالى لا تدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك أن الإدراك غير الرؤية، فالإدراك الإحاطة بالشيء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، فهم رأوهم ولم يدركوهم، فليست الرؤية هي الإدراك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا يلزم من نفي إحاطة العلم والرؤية نفي العلم والرؤية، بل يكون ذلك دليلاً علىٰ أنه يُرىٰ ولا يحاط به كما يعلم ولا يحاط به؛ فإن تخصيص الإحاطة بالنفي يقتضي أن مطلق الرؤية ليس بمنفي، وهٰذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم»[(٢)].

**تاسعاً**: تفسيرهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]؛ أي: منتظرة؛ لا نسلم به، وذلك أن «ناظرة» لها معانٍ بحسب السياق.

قال الإمام البيهقي رحمه الله: «وليس يخلو النظر من وجوه:

١. إما أن يكون الله عز وجل عنىٰ به نظر الاعتبار؛ كقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧].

٢. أو يكون عنىٰ به نظر الانتظار؛ كقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

(٢) «منهاج السُّنَّة» (٢/ ٣٢٠).

٣. أو يكون عنىٰ به نظر التعطف والرحمة؛ كقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

٤. أو يكون عنىٰ الرؤية نظرَ العين؛ كقوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠].

ولا يجوز أن يكون الله سبحانه عنىٰ بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] نظر التفكر والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار.

ولا يجوز أن يكون عنىٰ نظر الانتظار؛ لأنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير.

ولا يجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التعطف والرحمة؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا علىٰ خالقهم.

فإذا فسدت هٰذه الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنىٰ قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أنها رائية ترى الله ﷻ.

ولا يجوز أن يكون معناه: إلىٰ ثواب ربها ناظرة؛ لأن ثواب الله غير الله، وإنما قال الله ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ولم يقل: إلىٰ غير ربها ناظرة، والقرآن علىٰ ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة. ثم نقول: إن جاز لكم أن تدَّعوا هٰذا في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، جاز لغيركم أن يدعيه في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فيقول: أراد بها لا تدرك غيره»[1].

والنظر يأتي بمعنىٰ الانتظار أو نظر العين، والضابط في ذلك:

إذا جاء بعده «إلا» وقبله استفهام، فالمعنىٰ انتظار، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وإذا جاء بعده «إلىٰ» أو ذكر محل النظر وهو الوجه؛ فهو نظر العين.

وإذا جاء بعده المفعول مباشرة، فيحتمل الأمرين، مثل: نَظَرْتُ عائشةَ.

---

(١) «الاعتقاد» للبيهقي، ص١٢٠ ـ ١٢٢.

## هل رأىٰ النبي ﷺ ربه؟

اختلف أهل العلم في هٰذه المسألة، والصحيح الذي عليه جماهير أهل العلم أنه لم يره، كما قال ﷺ: «**رأيت نوراً**»[١]، وقال: «**نور أنىٰ أراه**»[٢]، والصحيح أنه رآه مناماً ﷺ.

ورؤية المنام ممكنة، وتكون علىٰ قدر الإيمان، فكلما زاد الإيمان كان الله أبهىٰ وأجمل، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «**أتاني ربي ﷻ الليلة في أحسن صورة**»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم (١٧٨)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٧٨)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

# ثامناً: صفة الكلام لله تعالى

قال أهل السُّنَّة: إن الله تعالىٰ يتكلم بما شاء، متىٰ شاء، كيف شاء، وذلك لكمال عزته، وكمال إرادته، وكمال قدرته، فهو يتكلم بما شاء، ولا يفرض أحد عليه شيئاً.

وكلام الله ﷻ قديم النوع ـ يعني: أزلي ـ، والقرآن الكريم هو بعض كلام الله جل في علاه، وهو منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

والقرآن بعض كلام الله؛ لأن الله تعالىٰ أخبر عن نفسه فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، والقرآن الكريم محدود، من الفاتحة إلىٰ الناس، وكلام الله أكثر من ذلك بكثير، فالتوراة بعض كلام الله، وكذا الإنجيل والزبور والصحف، وما جاء في الأحاديث القدسية من كلام الله، وما سيكلم الله به الناس يوم القيامة، وما سيكلم به المؤمنين في الجنة، وما كلم به الأنبياء والملائكة، كل ذلك من كلام الله، فكلام الله تعالىٰ كثير.

قال أهل العلم: «منه بدأ»؛ أي: هو الذي تكلم به سبحانه، «وإليه يعود» عندما يرفع من الصدور والسطور.

وسئل جعفر بن محمد «الصادق» عن القرآن: أخالقٌ هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله. وروي أيضاً عن الحسن البصري، وأيوب السختياني، وسليمان التيمي، وخلق من التابعين[١].

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٣/ ١٢٨).

### ❁ تفاضل كلام الله:

وكلام الله تعالىٰ يتفاضل، فبعض كلامه أفضل من بعض، لا من حيث المتكلم؛ لأن المتكلم واحد، ولكن من حيث دلالاته وموضوعاته وتأثيره.

أما من حيث الموضوعات؛ فمرة يتكلم عن التوحيد ومرة عن الحج، ومرة عن الديون، ومرة عن مكارم الأخلاق، ومرة عن قصص الأنبياء، وهكذا، فموضوعاته مختلفة.

وأما من حيث دلالاته؛ فهو إما أمر أو نهي أو خبر.

وأما من حيث التأثير؛ فإن بعض الآيات يقرؤها الإنسان ويبكي، وبعضها يقرؤها ولا يبكي، فالتأثير مختلف. ومن ذلك بكاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦][(١)].

### ❁ أدلة إثبات صفة الكلام:

وقد أثبت الله تعالىٰ لنفسه صفة الكلام بعدة أدلة من القرآن، منها:

إثبات القول لله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وبالكلام كما في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وبالنداء كما في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ﴾ [الشعراء: ١١٠].

وبالمناجاة كما في قوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

### ❁ كلام الله قديم النوع حادث الآحاد:

أي: إن أصل صفة الكلام أزلية، فهي قديمة لله تعالىٰ، وليست صفة حادثة.

وأما آحاد الكلام فهو حادث؛ فالله كلم النبي ﷺ لما عرج به إلىٰ السماء، وسيكلم المؤمنين في الجنة بعد دخولهم الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الجماعة والإمامة، باب: إذا يكن الإمام في الصلاة.

## ❁ مَنْ أنكر صفة الكلام:

قال أحد المعتزلة لأبي عمرو بن العلاء: أريد أن تقرأ «وكلم اللهَ موسىٰ تكليماً» بنصب لفظ الجلالة «الله»؛ ليكون موسىٰ هو المتكلم لا الله!!

فقال له أبو عمرو بن العلاء: هب أني قرأت هٰذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فبهت المعتزلي[(١)].

وقالت الأشاعرة والماتريدية والكلابية: «الله يتكلم بلا صوت ولا حرف، وإنما هو كلام نفسي»[(٢)]، وقالوا: «إن القرآن عبارة عن كلام الله»، واستدلوا بقول عمر ﷺ: زورت كلاماً في نفسي، فقالوا: يمكن للإنسان أن يتكلم في نفسه، فيكون الكلام نفسياً، ومن ذلك قول الشاعر:

**إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلاً**

وسبب نَفْيِهِم صفةَ الكلام لله بالحرف والصوت أن الكلام من ظنهم صفات المخلوقين، فأرادوا تنزيه الله، فوقعوا في هٰذا الأمر.

وقد اختلفوا فيمن نطق بالقرآن ابتداءً وعبر عن هٰذا الكلام علىٰ قولين:

**الأول**: أن هٰذا القرآن هو تعبير جبريل عليه السلام، فالله تكلم كلاماً نفسياً غير مسموع، ففهمه جبريل دون أن يسمعه، فألقاه إلىٰ النبي ﷺ، واستدلوا بقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠]، قالوا: والرسول هو جبريل عليه السلام.

**الثاني**: وهو كالأول إلا أن النبي ﷺ فهمه من جبريل وهو الذي عبر عنه، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، والرسول هنا هو النبي محمد ﷺ[(٣)].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٢٥٨).
(٢) انظر: «الإرشاد»، ص١١٦، «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري، ص١١٣ ـ ١١٤.
(٣) انظر: «الإرشاد» للجويني، ص١٣٥.

واستدلوا كذلك بحديث: «**إن روح القدس نفث في رُوعِي**[١]»[٢]، فقالوا: كل القرآن كذلك ألقي في رُوعه من جبريل، ومن باب أولىٰ لم يسمعه جبريل من الله تعالىٰ.

وأما المعتزلة فقالوا: «إن القرآن مخلوق».

وعلىٰ القولين ـ من تعبير جبريل أو محمد ﷺ ـ يكون القرآن مخلوقاً؛ لأن كلام جبريل مخلوق، وكلام محمد ﷺ مخلوق، فالأشاعرة وافقوا المعتزلة علىٰ استحياء، والمعتزلة أشجع منهم ولكن أضل.

## ❁ الرد علىٰ من أنكر صفة الكلام:

**أولاً**: جاء في «صحيح البخاري»[٣] أن الله تعالىٰ ينادي بصوت يوم القيامة.

**ثانياً**: قول عمر رضي الله عنه: «زورت كلاماً في نفسي»؛ فقد فسرتها رواية أخرىٰ: «زورت مقالة أعجبتني»[٤].

**ثالثاً**: وأما استشهادهم ببيت الشعر؛ فهو مخالف لما جاء في الكتاب والسنة.

والبيت قد جاء بلفظ آخر، وهو:

**إن البيان لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلاً**

**رابعاً**: قال النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**»[٥]، ووجه الدلالة منه: التفريق بين حديث النفس والكلام، والله قد أثبت لنفسه الكلام، لا حديث النفس.

---

(١) **الرُّوع**: بضم الراء؛ هو النفس والقلب والخلد. «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/ ١٩٠)، **وانظر**: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٦٦٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٧)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) «صحيح البخاري» (٤٤٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (١٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## ❁ حكم من يقول بخلق القرآن:

لقد كفر أهل السُّنَّة من يقول: إن القرآن مخلوق، وشددوا في ذلك لأمور:

**الأول**: أن فيه إبطالاً للأمر والنهي؛ فالله عندما يأمرُ بأمرٍ فالأصل أنه يجاب ويمتثل، وكذا عندما ينهىٰ عن شيء؛ فالأصل أن يُنْتهىٰ عنه.

وفرق عظيم بين قول: إن الله أمر بكذا، وبين قول: خلقَ اللهُ كذا وكذا من الأوامر؛ كالصلاة والزكاة.

**الثاني**: أن فيه تكذيباً لله تعالىٰ، وذلك أن الله يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففَرَّق بين الخلق وبين الأمر، وذلك أن العطف يقتضي المغايرة، فالخلق شيء، والأمر شيء آخر، فكيف يكون الأمر مخلوقاً؟

وأمر الله هو القرآن بدليل قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فبين أن القرآن من أمره، والكلام من أمره.

بل إن الله تعالىٰ إذا أراد أن يخلق فإنه يخلق بالأمر، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [يس: ٨٢]، فالله تعالىٰ يخلق بقوله: ﴿كُن﴾؛ أي: بالأمر؛ فإذا كانت «كن» مخلوقة؛ فإنها لا تخلق؛ إذ المخلوقُ لا يَخْلُق، كما أن الخالق لا يُخلَق.

وقد ضرب الله مثلاً لذلك فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]، وذلك أن الجميع مخلوق، فلا يمكن أن يخلق، ولو كان يستطيع أن يخلق لأوجد نفسه، ويقال: فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يكون مخلوقاً ثم بعد ذلك يخلق؟

**الثالث**: لو صح أن نقول: إن الكلام المضاف إلىٰ الله مخلوق؛ للزم أن يقال: إن كل كلام في الوجود كلام لله تعالىٰ، وقد قال ابن عربي[1]:

---

(١) «الفتوحات المكية» (٤/ ١٤٣).

ألا كل قول في الوُجُودِ كَلامُهُ سَواءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ

فإذا قيل: إن القرآن مخلوق ـ وهو بعض كلام الله ـ، وإضافة الكلام إلىٰ الله ـ علىٰ زعمهم ـ إضافة مخلوق إلىٰ خالق، مثل «ناقة الله، بيت الله»، فيلزم من هٰذا أن يكون كلام جميع البشر كلامَ الله، وهو من باب إضافة مخلوق إلىٰ خالقه، فينسب إلىٰ الله الشر والسب والشتم، وهٰذا باطل من القول وزور.

**الرابع**: يلزم أن تكون باقي الصفات مخلوقة، فلا فرق بين صفة الكلام وبين باقي الصفات، فيقال: سمع الله مخلوق، وكذا بصره، وغيرها من الصفات، وتكون الإضافة هي إضافة مخلوق إلىٰ خالق، ثم يُثبت ربّاً بلا صفات والعياذ بالله.

**الخامس**: لو كان كلام الله مخلوقاً ـ سواء القرآن أو غيره ـ لكان ناقصاً؛ لأن كل مخلوق يعتريه النقص، والكمال لله تعالىٰ وحده.

**الأمر السادس**: الكلام ليس شيئاً عينياً بائناً من الله، ولكنه صفة للمتكلم لا تنفك عنه، وهي صفة غير محسوسة، وعليه فالكلام غير مخلوق؛ لأنه صفة غير قائمة بذاتها.

### ❁ أدلة من قال: إن القرآن مخلوق[١]:

**الدليل الأول**: عموم قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ووجه الدلالة: أن القرآن شيء، والله خالق كل شيء.

**الدليل الثاني**: إذا كان القرآن غير مخلوق ـ وهو قديم ـ فقد أثبتنا مع الله إلها آخر.

**الدليل الثالث**: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، ومعنىٰ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: خلقناه، ومثله قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: خلق الظلمات والنور.

---

(١) ومن أراد التوسع فعليه بكتاب «الحيدة» لعبد العزيز الكناني، وهو كتاب نافع في بابه.

## ❁ الرد علىٰ من قال بخلق القرآن:

**أولاً**: قال الله تعالىٰ عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣]، وعرش سليمان أعظم من عرشها، فهي أوتيت من كل شيء مما يليق بملوك الدنيا، ولم تعم كل الأشياء.

وقال تعالىٰ عن الريح التي جاءت قوم هود: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ومساكنهم لم تدمر، فيكون معنىٰ الآية: تدمر كل شيء أمرت بتدميره، أو تدمر كل شيء مما هو قابل للتدمير، وهٰذا من العام الذي أريد به الخاص.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [الأنعام: ١٩]، فأخبر الله عن نفسه بأنه «شيء»، فهل يقال: إن الله خلق نفسه؟

**ثانياً**: القرآن كلام الله، وكلامه صفة من صفاته، وصفات الله كلها غير مخلوقة؛ لأنها لا تنفك عنه ﷻ.

وعندما نقول: إن الله أزلي، فلا يمكن أنه أزلي بلا صفات، بل الله متصف بهٰذه الصفة منذ الأزل، ولا يلزم منه تعدد الآلهة؛ لأنها صفات لذات واحدة.

ثالثاً: تأتي «جعل» في لغة العرب علىٰ معنيين:

١. بمعنىٰ خَلَق.

٢. بمعنىٰ صَيَّر.

**والضابط في هٰذا:**

ـ إذا لم تتعدَّ إلىٰ مفعول ثانٍ؛ فهي بمعنىٰ خلق، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]. فـ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ مفعول به، ﴿وَٱلنُّورَۖ﴾ معطوف عليه، ولم يتعد الفعل إلىٰ مفعول ثانٍ.

ـ إذا تعدت إلىٰ مفعول ثانٍ؛ فهي بمعنىٰ صَيَّر، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣]، فالضمير في قوله: ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ مفعول به أول، وقوله ﴿قُرۡءَٰنًا﴾ مفعول به ثانٍ، و﴿عَرَبِيّٗا﴾ صفة.

وكذا قوله ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]، فـ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ مفعول أول، و﴿عِضِينَ﴾ مفعول ثانٍ. فـ﴿جَعَلُواْ﴾ هنا بمعنىٰ صيروا، وليست بمعنىٰ خلقوا، لم يخلقوا القرآن.

وكذا قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ٥]، فالضمير في قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ مفعول أول، و﴿كَعَصْفٍ﴾ مفعول ثانٍ، والكاف زائدة للتوكيد، والتقدير جعلهم عصفا مأكولاً، فـ﴿جعلهم﴾ هنا بمعنىٰ صيرهم، وليست بمعنىٰ خلقهم.

ولو كانت «جعل» دائماً بمعنىٰ «خلق»؛ فكيف نصنع بقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، فلا يمكن أن يحمل المعنىٰ علىٰ «خلق» إذ لا يقرهم الله علىٰ هٰذا، ولا يستقيم المعنىٰ، وهو مخالف للواقع، فهم لم يخلقوا الملائكة.

وكذا قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فالله لا يقرهم علىٰ هٰذا، فلا تفسر «وجعلوا» بمعنىٰ «وخلقوا»، فهم لم يخلقوا شيئاً، وإنما المعنىٰ «صيّروا».

والمتأمل في حال هٰؤلاء يجدهم يتشهون الأدلة، ويصرفونها عن ظواهرها لتوافق أهواءهم والعياذ بالله، فهم يبحثون عن أي دليل يوافق مذهبهم، وإن وجدوا ما يعارضه صرفوه عن معناه، ولا شك أن هٰذا الفعل يصدق عليه قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

### ❁ فتنة القول بخلق القرآن (٢١٨ ـ ٢٣٤هـ):

أول من قال بخلق القرآن هم الجهمية، وعلىٰ رأسهم الجعد بن درهم، ولذٰلك أمر بقتله خالد بن عبد الله القسري أمير «واسط»، وأخذها عنه الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه طائفة الجهمية، وقتله سلمة بن أحوز بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك.

ثم تابعه أهل الكلام من المعتزلة كعمرو بن عبيد (١٤٤هـ)، فصار من عقيدة المعتزلة القول بخلق القرآن.

وكانت للمعتزلة في زمن من الأزمان صولة وجولة، وذلك أنهم كانوا بطانة الخليفة العباسي المأمون، واقتنع بمقالة خلق القرآن، وأراد المأمون أن يلزم الناس بما اعتقد[١]؛ لأنه ظن أن هٰذا هو الحق الذي يجب أن يلتزم به الناس.

وكان من ضمن حاشيته: أحمد بن أبي دؤاد الجهمي (٢٤٠هـ)[٢]، وبشر بن غياث المريسي (٢١٨هـ)[٣]، ومحمد بن شجاع الثلجي المعتزلي (٢٦٦هـ)[٤].

فأراد المأمون أن يلزم الناس بهٰذه العقيدة، فمنعه البعض؛ خشية أن يثور عليه الناس. وكان المأمون يخشىٰ يزيد بن هارون الواسطي، وكان يزيد رأس السنة في وقته، وكان معادياً للجهمية، وهو شيخ الإمام أحمد.

فأرسل المأمون رجلاً إلىٰ مجلس يزيد بن هارون، وقال له: قل: إن المأمون يريد أن يلزم الناس بالقول بخلق القرآن. فدخل الرجل إلىٰ مجلس يزيد بن هارون، وقال له: إن أمير المؤمنين يريد أن يلزم الناس بالقول بخلق القرآن. فقال يزيد: كذبت علىٰ أمير المؤمنين، فإنه لا يحمل الناس علىٰ ما لا يعرفونه، فإن كنت صادقاً، فاقعد، فإذا اجتمع الناس في المجلس، فقل. قال:

---

(١) والمأمون قال هٰذه المقالة جهلاً، ولذلك لم يكفره علماء المسلمين.

(٢) ولد سنة ستين ومئة (١٦٠هـ)، وكان قاضياً للمعتصم والواثق، ومصرحاً بمذهب الجهمية، داعية إلى القول بخلق القرآن، وكان موصوفاً بالجود والسنحاء، وحسن الخلق، وغزارة الأدب. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ٧٥٨).

(٣) وكان من أعيان أصحاب الرأي، وبرع بالفقه، ونظر في الكلام والفلسفة وجدد القول بخلق القرآن ودعا إليه وناظر فيه. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ٢٨٣).

(٤) ولد سنة إحدىٰ وثمانين ومئة (١٨١)، فقيه، وكان من بحور العلم، وكان صاحب تعبد وتهجد وتلاوة، ورمي بالبدعة، وكان يضع الحديث في التشبيه، وينسبها إلى أصحاب الحديث يبتليهم بها. انظر: «الكامل» لابن عدي (٦/ ٢٩١)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٣٧٩) للذهبي.

فلما أن كان الغد، اجتمعوا، فقام، فقال كمقالته، فقال يزيد: كذبت علىٰ أمير المؤمنين، إنه لا يحمل الناس علىٰ ما لا يعرفونه، وما لم يقل به أحد.

قال: فقدم، وقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلم، وقص عليه ما دار بينهم[1]، فلم يلزم الناس بهٰذا القول حتىٰ توفي يزيد بن هارون وفي سنة ثمان عشرة ومئتين (٢١٨هـ) أعلن المأمون وجوب القول بخلق القرآن، وامتحن الناس بذلك، وقتل من امتنع.

وأشهر من امتنع إمام السنة أحمد بن حنبل، والبويطي ـ تلميذ الشافعي ـ، ومحمد بن نوح، وأحمد بن نصر الخزاعي، ونعيم بن حماد.

وتأول البعض بالإكراه، فقالوا بخلق القرآن تقية، خصوصاً بعد مقتل من امتنع كالبويطي، وأحمد بن نصر، ومحمد بن نوح، ونعيم بن حماد.

ولم يقتل أحمد؛ لأنه أخذ إلىٰ المأمون من بغداد، وقد بلغهم خبر موت المأمون وهم في الطريق، وكان قد دعا الإمام أحمد أن لا يرىٰ المأمون ولا يراه المأمون.

يقول أهل العلم: إنه أعلن القول بخلق القرآن في تلك السنة ومات في السنة ذاتها، ولذلك يقال: خاتمة سوء للمأمون.

وخلفه محمد بن هارون «المعتصم» سنة (٢٢٠هـ)، ولم يكن محباً للعلم كالمأمون، فاستمر علىٰ هٰذه العقيدة، وسجن أحمد ثمانية عشر شهراً، وعذبه وضربه وجلده حتىٰ إنه كان يسقط من شدة الضرب، ولم يقتله، ثم مات المعتصم سنة (٢٢٧هـ).

وجاء بعده ابنه هارون «الواثق» سنة (٢٢٧هـ)، وألزم الناس بهٰذه العقيدة، واستمرت الفتنة إلىٰ أن توفي الواثق سنة (٢٣٢هـ)، وقد أخرج الإمام أحمد من السجن في عصره، ومنعوه من التحديث ومخالطة الناس، وظل في بيته لا يكلم أحداً، ولا يحدث أحداً.

وخلفه أخوه جعفر «المتوكل»، فاستمر علىٰ هٰذه العقيدة إلىٰ سنة (٢٣٤هـ)،

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٦٥)، (١١/ ٢٣٧).

ثم تبنىٰ مذهب أهل السُّنَّة، وأعز الله علىٰ يديه السُّنَّة، وعظم الإمام أحمد بن حنبل، وأذن له بالتحديث ولكنه امتنع رَحِمَهُ اللهُ، وهكذا انتهت فتنة القول بخلق القرآن.

## ۞ أنواع الإضافة في القرآن الكريم:

أضاف الله تبارك وتعالى القرآن الكريم إلىٰ نفسه، وإلىٰ المَلَكِ «جبريل»، وإلىٰ النبي ﷺ:

فأما إضافته إلىٰ نفسه ففي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وأما إضافته إلىٰ الملك ففي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠]، وهو جبريل عليه السلام.

وأما إضافته إلىٰ النبي ﷺ ففي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١].

## ۞ فائدة هٰذه الإضافة:

تنوعت هٰذه الإضافات لأمرين:

**الأول**: إضافة القرآن إلىٰ الله إضافةُ إنشاءٍ وابتداءٍ، فهو المتكلم ابتداءً.

**الثاني**: وأما إضافته إلىٰ الملك أو النبي؛ فهي إضافةٌ إلىٰ مبلغ، فجبريل بلغه النبي ﷺ، والنبي بلغه للأمة، فقد يُنسب الكلام إلىٰ المنشئ، وقد ينسب إلىٰ المُبَلِّغ.

## ۞ ما يضيفه الله إلىٰ نفسه له أحوال:

**الحال الأولىٰ**: أن تكون عين قائمة بذاتها، وهي نوعان:

١ .أن تكون إضافة مخلوق إلىٰ خالقه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

٢. أن تكون إضافة تشريف، كما قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣].

**الحال الثانية**: أن يكون المضاف إلىٰ عين مخلوقة، فهي ـ أيضاً ـ إضافة تشريف، كما قال تعالىٰ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

**الحال الثالثة**: أن يكون المضاف إلىٰ عين غير قائمة بذاتها، وهي من

باب إضافة صفة إلىٰ موصوف، كما قال تعالى: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥].

❁ **درجات الإنزال:**

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النزول في كتاب الله ﷻ ثلاثة أنواع:

**الأول: إنزال مطلق؛** كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].

**الثاني: وإنزال من السماء؛** كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [المؤمنون: ١٨].

**الثالث: إنزال من الله؛** كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١]، فالقرآن من الله، والماء من السماء، والحديد أنزل فقط(١).

والقرآن ـ كلام الله ـ نسبه الله إلىٰ نفسه، فهو من الله تعالىٰ.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٢٤٧) وما بعدها.



# الفصل الثالث

# ذكر أهل الكلام

وفيه:

أولاً: تراجم رؤوس أهل الكلام.

ثانياً: من رجع من أهل الكلام.

ثالثاً: نهي العلماء عن الخوض في علم الكلام.






## أولاً: تراجم رؤوس أهل الكلام

### ❁ الكُلابية:

نسبة إلىٰ أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلّاب البصري(١)، توفي سنة أربعين ومئتين من الهجرة (٢٤٠هـ)، وهو من علماء الكلام، كان من أشد الناس رداً علىٰ المعتزلة، وحاول أن ينتحل مذهباً ملفقاً بين مذهب أهل السُّنَّة والمعتزلة؛ لأنه تأثر بعلم الكلام، ويزعم أنه توسط بهٰذا الجمع بين المذهبين، وهو كما قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وكان يلقب كلاباً؛ لأنه كان يجر الخصم إلىٰ نفسه ببيانه وبلاغته، وهو من الكَلَب وهو الصيد والقبض علىٰ الشيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان له فضل وعلم ودين»(٢).

ويقال: إن أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ الله لما ترك مذهب المعتزلة أخذ بمذهب ابن كلاب فترة، ثم بعد ذلك انتقل إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة.

وقد اندثر مذهب ابن كُلَّاب، وهو مقارب لمذهب الأشاعرة، بل أقرب إلىٰ أهل السُّنَّة من الأشاعرة في الإثبات.

### ❁ الأشاعرة:

نسبة إلىٰ علي بن إسماعيل الأشعري أبي الحسن، ويرجع نسبه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ الله عَنْهُ.

---

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٤)، «طبقات الشافعية» (١/ ٤)، «الأعلام» (٤/ ٩٠).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٥٥).

ولد أبو الحسن في البصرة، وتوفي سنة (٣٣٠هـ).

وكان معتزلياً في بداية الأمر، إذ نشأ يتيماً، توفي أبوه وهو صغير، ثم تزوجت أمه برأس المعتزلة القاضي أبي علي الجُبَّائي، فنشأ علىٰ يديه وأخذ عنه الاعتزال، حتىٰ بلغ الأشعري الأربعين من عمره وهو علىٰ هٰذا المذهب، وقد أوتي ذكاءً، وأشكلت عليه بعض المسائل فلم يجد لها إجابات عند المعتزلة، حتىٰ ترك هٰذا المذهب، واتجه إلىٰ مذهب ابن كلّاب، واستمر علىٰ هٰذا فترة من الزمن، ثم عرف مذهب أحمد بن حنبل، فأخذ به، وألّف رسالة لطيفة، وهي «الإبانة عن أصول الديانة»، وفيها أقرّ أنه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل[١]، وهي رسالة مطبوعة.

وله كتاب آخر اسمه «مقالات الإسلاميين» وقرر فيه مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، ونصره.

ومن الخطأ أن ينسب مذهب الأشاعرة إلىٰ أبي الحسن الأشعري، ولا يستطيع الأشاعرة أن ينسبوا إلىٰ أبي الحسن إلا الشيء اليسير، والصحيح أن ينسب إلىٰ الرازي، وابن فورك، والباقلاني، وغيرهم.

ومن رؤوس هٰذا المذهب: إمام الحرمين الجويني، وابن فورك، والباقلاني، والفخر الرازي.

### ❁ الماتريدية:

نسبة إلىٰ محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، نسبة إلىٰ «ماتريد» بلدة في سمرقند.

---

(١) قال رحمه الله: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل وبسُنَّة نبينا محمد ﷺ، وما روىٰ عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته، قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم». «الإبانة» لأبي الحسن الأشعري، ص٢٠.

كان يعظم العقل، ولم يغلُ غلو المعتزلة، بل كان يرد عليهم، وكان يعتبر العقل مصدراً إضافياً إلىٰ المصدر الأساسي وهو النقل.

وعنده انحراف في العقيدة، ومذهب الأشاعرة أحسن بكثير من مذهب الماتريدية.

**❁ الكُرَّامية:**

نسبة إلىٰ محمد بن كُرّام السجستاني، وأكثر ما يُشنع عليه قوله: إن الله جسم[1]، وينسب البعض إليه كلمات خطيرة في التشبيه، حتىٰ كفره بعض أهل العلم، وتوسط آخرون، والبعض يرىٰ أنه لم يقل بذلك، وإنما أتباعه هم الذي يقولون بهٰذا القول، والله أعلم.

قال الذهبي: «كان زاهداً عابداً ربانياً، بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات»[2]، فيقبل أي حديث يسمعه. وهو علىٰ مذهب أبي حنيفة في الفقه. توفي سنة خمس وخمسين ومئتين (٢٥٥هـ).

❁ ❁ ❁

---

(١) وتقدم القول في مثل هٰذه الكلمات ص١٣٩.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٢٣).

# ثانياً: من رجع من أهل الكلام

## ❁ الفخر الرازي:

وهو صاحب التفسير المشهور، وهو الذي أصّل مذهب الأشاعرة.

قال الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقةَ القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، أقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، ومن جرب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي».

وقال[1]:

| | |
|---|---|
| نهاية إقدام العقول عقال | وأكثر سعي العالمين ضلالُ |
| وأرواحنا في وحشة من جسومنا | وغاية دنيانا أذىٰ ووبالُ |
| ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا | سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا |

## ❁ الجويني:

هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي.

قال: «لقد خُضتُ البحر الخِضَم ـ يعني: في علم الكلام ـ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٥٠١)

يتداركني الله برحمة منه؛ فالويل لفلان ـ يعني: نفسه ـ وها أنا ذا أموت علىٰ عقيدة أمي»[١].

### ❁ الشهرستاني:

هو الأفضل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح.

ذكر هٰذه الأبيات ولم ينسبها لأحد:

**لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم**

**فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... علىٰ ذقن أو قارعاً سن نادم**

### ❁ الغزالي:

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزالي[٢] الشافعي.

قال الإمام أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شيخنا أبو حامد ابتلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع»[٣]؛ يعني: هضم أقوالهم وعرفها.

وله كتاب «تهافت الفلاسفة»، أبطل فيه آراء الفلاسفة وأقوالهم، ورد عليهم، ولكنه بقيَ متأثراً بهم، وبقيت عنده رواسب من مذهبهم.

ويُذكر عنه قبل موته أنه كان يكثر من قراءة «صحيح البخاري»، ومات وهو علىٰ صدره.

❁ ❁ ❁

---

(١) «طبقات الشافعية» (٣/ ٣٦٠).

(٢) إما بتشديد الزاي (الغَزَّالي) أو تخفيفها (الغَزَالي).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٧).






## ثالثاً: نهي العلماء عن علم الكلام

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا علىٰ الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُنادىٰ عليهم: هٰذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنَّة وأخذ في الكلام»(١).

وقال ابن خويز منداد المالكي البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريّاً كان أو غير أشعري»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعجب أن من اشترط ذلك ـ أي: النظر ومعرفة الأدلة ليصح الإيمان ـ من أهل الكلام ينكرون التقليد، وهم أول داعٍ إليه حتىٰ استقر في الأذهان أن من أنكر قاعدةً من القواعد التي أصّلوها فهوَ مبتدع، ولو لم يفهمها ولم يعرف مأخذها، وهٰذا هو محض التقليد، فآل أمرهم إلىٰ تكفير من قلد الرسول عليه الصلاة والسلام في معرفة الله تعالى، والقول بإيمان من قلدهم، وكفىٰ بهٰذا ضلالاً»(٣).

وقال: «السعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف، وإن لم يكن منه بدٌّ، فليكتف منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصالة»(٤).

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن بعض علماء النظر بالغوا في

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١٩٣)، والأصبهاني في «الحجة» (١/ ٢٢٥)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٩).

(٢) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢/ ١١٧).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٤). (٤) «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٣).

النفي والرد والتحريف والتنزيه ـ بزعمهم ـ حتىٰ وقعوا في بدعة، أو نعت الباري بنعوت المعدوم. كما أن جماعة من علماء الأثر ـ الكُرَّامية ـ بالغوا في الإثبات، وقبول الضعيف والمنكر، ولهجوا بالسنة والاتباع، فحصل الشغب، ووقعت البغضاء، وبَدّع هٰذا هٰذا، وكفَّر هٰذا هٰذا، ونعوذ بالله من الهوىٰ والمراء في الدين، وأن نُكَفِّر مسلماً موحداً بلازم قوله وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب»[1]؛ أي: يلزم من قول كذا أن يكون كذا، ويلزم من جلوس فلان مع فلان أن يقول بقوله.

(١) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين، ص٢٠.





# فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة

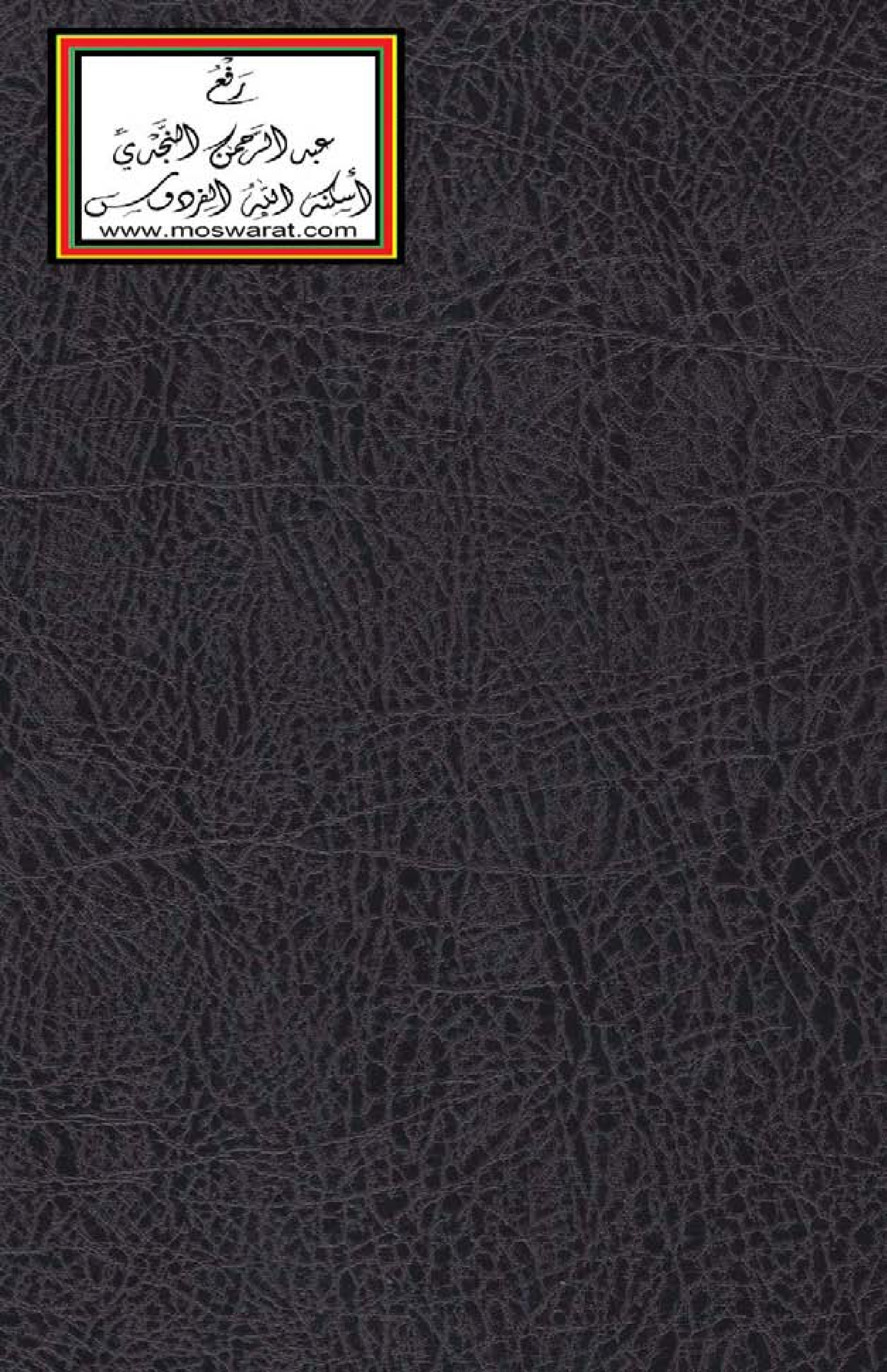
الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com